أخبارُ ومرويات هبة اللّه محمد بن نما الحلي

عن الأميرِ سيفِ الدَّولة صدقة بنِ منصورٍ المزيديِّ الأسديِّ

في كتابه (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسديَّة)

الأستاذ المتمرس
د.محمد كريم إبراهيم الشمري
جامعة بابل

الملخص

يركِّزُ هذا البحثُ على دراسة المرويات والأخبار التي أوردها أبو البقاء هبة الله بن نما الحليّ في كتابه (المناقب المزيدية) بشأن الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور المزيديّ الأسديّ، وينقسمُ على مبحثين:

درسنا في المبحث الأوَّل سيرة أبي البقاء من حيثُ نشأته ومكانته ومنزلته العلميَّة، ولمْ نُوفَّق في تحديد سنة ولادته ومكانها ، فضلًا عن اختلاف المؤلفين في تحديد سنة وفاته ، بروايات ووجهات نظر متعددة متباينة.

وفي المبحث الثاني درسنا رواياته وأخباره عن سيف الدولة صدقة بن منصور، ومعظمها تتعلَّق بشخصيته ومواصفاته، زيادةً على ذِكْرِ مواقف وأحداث سياسيَّة وعسكرية شهدها عصره، خلال حكمه وإدارته للإمارة المزيديَّة ، وعلاقتها بالخلافة العباسيَّة والسلاطين السلاجقة، وكان أبو البقاء ميَّالًا إلى مَدحِ الأميرِ صدقة إلى حدِّ المبالغةِ في كافة الروايات الواردة في كتابه .

الكلمات المفتاحية:

سيف الدولة صدقة ، الإمارة المزيدية ، هبة الله بن نما ، المناقب المزيدية .

News and narratives of hebat allah muhammad bin nama al -hilli on the authority of Prince Saif al-Dawlah Sadaqah bin Mansour al-Mazidi al-Asadi In the book (Al-Manaqib Al-Mazidiah fi Akhbar Al-Maluk Al-Asadiah)

Experienced Professor Dr.

Muhammad Karim Ibrahim Al-Shamri

University of Babylon

Abstract

This research focuses on studying the narrations and news reported by Abu Al-Baqa Hebat Allah bin Nama Al-Hilli in his book (Al-Manaqib Al-Mazidiah) about Prince Saif Al-Dawlah Sadaqah bin Mansour Al-Mazydi Al-Asadi, and it is divided into two sections:

In the first topic, we studied the biography of Abi Al-Baqa' in terms of his upbringing, his position and his scientific status, and we were not successful in determining the year and place of his birth, as well as the authors' differences in determining the year of his death, with multiple different narratives and points of view.

In the second topic, we studied his narrations and news about Saif al-Dawlah Sadaqah ibn Mansur, most of which are related to his personality and specifications, in addition to mentioning political and military situations and events that his era witnessed during his rule and administration of the Mazeedi Emirate, and its relationship with the Abbasid caliphate and the Seljuk sultans.Abu Al-Baqa was inclined to praise the Prince of Sadaqah to the extent of exaggeration in all the narrations contained in his book.

key words:

Saif al-Dawlah Sadaqah, Al Mazeedi emirate, Hebat Allah bin Nama, and the Manaqib al-Mazidiah.

مقدمة:

مُؤلَّف كتاب (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية) هو: أبو البقاء محمد بن نما بن علي بن حمدون الربعيّ الحليّ، الملقَّب: هبة الله – كما سنوضح.

اتَّصَفَتِ المصادر والمراجع التي ترجمت وتحدثت عنه بقلة معلوماتها إلى حدِّ الإيجاز الشديد والندرة عنه، ولاسيما ما يتعلق بنشأته الأُولى، وأبرزها: عدم تحديد تاريخ ولادته، التي نُرَجِّحُ أنَّها في مدينة الحلة على وجه التحديد، ولم تذكر مراحل نشأته الأولى وطفولته والبيئة التي تربى فيها، فليست هنالك معلومات كافية عن دوره أيام صباه وشبابه في الحياة بمفاصلها المتعددة: السياسية أو الاجتماعية أو العلمية، سواء في مدينة الحلة أو توابعها وما يحيط بها، أو في أي مكان آخر، وأين تلقى علومه ودراسته في الكتاتيب أو المدارس التي كانت قائمة وقتذاك، أي إنَّ الغموض كان السِّمَةَ التي ميَّزَتْ حياته الاجتماعية والعلمية ونشأته الأُولى بشكل عام، فضلًا عن عدم تحديد المصادر لتاريخ وفاته، ولعلَّ هذه الأمور جميعًا أصبحتْ إشكاليةً في مجال البحث الذي سعينا لكتابتِهِ.

المبحث الأول: المؤلف والكتاب

مؤلف الكتاب:

ترجم لأبي البقاء هبة الله بن نما الحليّ، عددٌ من المؤلفين، سنذكرهم على وفق تواريخ وفياتهم تباعًا، أبرزهم: الحرّ العامليّ[1]، الذي ترجم له ترجمة مختصرة جدًّا، بما نَصّه: «الشيخ أبو البقاء هبة الله بن نما الحلي، فاضل [صالح] يروي عن ولده جعفر».

وترجم له الميرزا عبد الله الأصفهاني[2]، فسمَّاهُ: الشيخ الرئيس العفيف أبو البقاء هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي، وذكر قول الحر العاملي عنه، كما سماه عبد الله الأصفهاني[3]: أبو البقاء أو: أبو التقى هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي، وهو ابن نما حقيقة، ووصفه بأنه جدهم (آل نما) الأعلى.

وممن ترجم له: الشيخ أقا بزرك الطهراني[٤]، فسماه: هبة الله بن نما الشيخ الرئيس العفيف أبو البقاء الحلي، وذكر بعض مَن رَوَى عنهُ.

وسـمَّاهُ السّـبحانيُّ[٥]: هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الربعي، أبو البقاء الحلي، وذكر بعض شيوخه، وتلاميذه ممن رووا عنه.

شيوخُهُ ومن روى عنهم:

١- أبـو المعالي أحمد بـن علي بن قدامة (ت ٤٨٦هـ)، كان قاضي الأنبار، روى عنه خبرين[٦].

٢- أبـو الغنائم محمد بن عـلي بن ميمون بن محمد النرسي، ويُعرف بـ: أُبَي الكوفي، لأَنَّـهُ كان جيِّدَ القراءَةِ للقـرآن، وقرأ القرآن بالقراءات، كان يُـوَرِّقُ للناس بالأجرة، تُوُفِّيَ في الحلَّةِ سنة ٥١٠هـ[٧].

٣- الشـيخ الأمـين أبـو عبد الله الحسـين بن أحمـد بن محمـد بن علي بـن طحّال المقـدادي، روى عنه أبو البقاء في سـنتي: ٥٢٠هـ، ٥٣٩هـ، وكان مجاورًا لمشـهد أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في النجف[٨].

٤- القاضي الأرشـد أبو الحسـين أحمد بن محمد الثقفي، والد القاضي عبد الواحد المُتَوَفَّى سـنة ٥٥٥هـ. روى عنه أبو البقاء خـبرًا بصيغة التَّرَحُّمِ (رحمه الله)[٩]، ممَّا يدلُّ على أن أبا البقاء الحلي كان معاصرًا للقاضي الأرشد.

٥- الرئيس أبو نصر محمد بن علي بن جيا (ت ٥٧٩هـ)، روى أبو البقاء عنه خبرًا سمعه سنة ٤٩٤هـ[١٠]، ممَّا يوضِّح أنَّ ابنَ جيا كان مُتَوَفِّيًا عند تأليف أبي البقاء كتابه.

٦- الشيخ أبو محمد الياس بن محمد بن هشام الحائري[١١].

٧- الشـيخ السـيد نجم الدين بهاء الشرف أبو الحسـن محمد بن الحسـن بن أحمد العلوي، المُصدَّر باسمه أسانيد الصحيفة الكاملة السجادية[١٢]، أي إنَّ أبَا البقاء رَوَى عنه في هذه الصحيفة .

٨- سُهيل أحد موالي سيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي، روى عنه خبرًا عن سخاء سيف الدولة[١٣].

٩- أبو الحسن محمد بن هبة الله بن محمد الوراق النحوي (ت ٤٧٠هـ)، كان لهُ في القراءات وعلوم القرآن باع طويل[١٤]. لكننا نستبعد أن يكون هذا من شيوخ هبة الله بن نما؛ لبعد الفارق الزمني بين تاريخ وفاته، وبين عصر ابن نما، بفارق زمني طويل يقرب من قرنٍ من الزمان، اللَّهُمَّ إلا إذا نقل معلوماتٍ وأخبارًا من مؤلفاته بعد اطلاعه عليها.

تلاميذه ومن روى عنه :

١- الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي: مؤلف كتاب (المزار) . روى عن هبة الله بن نما، الذي كان يقيم في الحلة، وله فيها دار، أقرأ فيه أحد تلاميذه كتاب سُليم بن قيس الهلالي سنة ٥٦٥هـ، أي إنَّ ابن نما كان حيًّا سنة ٥٦٥هـ[١٥].

وذكر أقا بزرك الطهراني[١٦] في ترجمة هبة الله بن نما، أنه من مشايخ الشيخ محمد ابن المشهدي مؤلف كتاب (المزار)، وهو يروي عن ابن نما في سنة ٥٦٩هـ، وسنة ٥٧٣هـ، مما يدلُّ على أنَّ ابن نما كان حيًّا في التاريخ الأخير.

وأشار السبحاني[١٧] إلى أن ابن المشهديّ قد سمع منه سنة ٥٧٥هـ.

٢- ولده الشيخ الفقيه جعفر[١٨].

٣- المحقق الحلي: جعفر بن الحسن بن يحيى الأكبر بن الحسن بن سعيد الهُذلي، وُلِدَ في الحلة سنة ٦٠٢هـ، وهو من أجل رجال الإمامية وأعظمهم، كان مرجع أهل عصره في الفقه وغيره، وبجهوده انتقلت الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة. تُوُفِّيَ سنة ٦٧٦هـ[١٩].

٤- من تلاميذ أبي البقاء عدد من أفراد أسرته، منهم: حفيده الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر[٢٠]، وولد حفيده نجم الملة والدين: جعفر بن نجيب الدين[٢١]

محمـد بن جعفر بن هبة الله وابنه أحمد بن محمد، وعـدد من إِخوته وأبنائهم، وحفدته وتلاميذه، من غير أسرته[٢٢].

أسرته ومكانته العلمية:

ينتمي أبو البقاء هبة الله الحلي إلى أسرة: نما الحلية، التي ينتسـب إليها العديد من علماء الحلة وفضلائها في الرواية والدراية، فهم يشـكلون طائفة كبيرة في الحلة، فيهم العلماء والفقهاء والمحدثون.

جاءت تسمية هذه الأسرة، نسبة إِلى جدهم: نما بن علي بن حمدون الحلي، الربعي، الذي كان معاصرا لأبي علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي[٢٣].

وضَبْطُ لفظِ (نما) فيه آراءٌ . ذَكَرَ الأصبهانيُّ[٢٤] أن بعض الفضلاء ضبطه، بفتح النون والميم المشـددة والألف الممدودة (نَمَّا)، ولكن المسـموع من مشـايخنا بتخفيف الميم مع ضم النون أو فتحها مع قصر الألف: أي : (نُمى)، (نَمى)، وذكر الأصفهاني أنَّ لفـظ (نما) يُطلقُ على جدِّهم الأعلى، وهو: أبـو البقاء، أو: أبو التقى هبة الله بن نما بن علي بن حمدون الحلي، وهو ابن نما حقيقة.

وذكـر الخوانسـاري[٢٥] أن لفظة: نما، مثلثـة النون مخففة الميـم، أو: بكسر الأول وتخفيف الثاني (نِما)، كما هو المسـموع من الشـيوخ في عصر أبي علي شـيخنا الطوسي (قدس سره القدوسي)، أي في القرن السـادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وهو عصر أبي بيتهم (نما) الأجل الأعظم.

وذكر السـيد محسـن العاملي[٢٦] أن أبـا البقاء ، اسـمه: محمد، وهبـة الله لقبه، كما وردَ[٢٧] في ترجمته للشيخ أبي جعفر نجيب الدين محمد بن جعفر بن محمد بن نما الحلي هذا الرأي الجديد.

لقي رأي السـيد محسن العامليّ بِخُصُوصِ اسمِ أبي البقاء: محمد قبولًا واستحسانًا من الأسـتاذين درادكة وخريسات[٢٨]، وتوافقا مع رأيه بخصوص أن اسم أبي البقاء

هـو: محمـد، وهبة الله هو لقب في أغلب الظن، وقـالا: «ونحن نرى أن ما ذهب إليه صاحب الأعيان [أعيان الشـيعة] حقيقة لا ظـن»، ودعما رأيهما بأدلة كافية من خلال أسـماء عدد من الشـخصيات المنتمية إلى أسرة آل نما، بتأكيد اسـم: محمـد، ومِمَّا تقدَّمَ تَوَصَّـلا إلى أنَّ مؤلـف كتاب (المناقـب المزيدية) هو: محمد بن نما بـن علي بن حمدون الحلي، الربعي ولُقِّبَ بـ: هبة الله، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحـادي عـشر الميلادي والنصـف الأوَّل من القرن السـادس الهجـري / الثاني عشر الميلادي.

وتَجدرُ الإشارة الى أن الشيخ أقا بزرك[٢٩] انفرد برأي فريد بعد أن ترجم لـه قائلًا: «ويُحتَمَلُ كون المترجَم له من الجاوانيين الأكراد مؤسِّسي الحلة».

وهـذا مجـرد احتمال، وليس في ذلك ضَيْرٌ ولا تأثير سـلبيًّا له أبـدًا، يحتمل أنه من الجاوانيـين الأكراد، وتصاهرت أسرته مع إحـدى الأسر العربية في الحلة، منها أسرة ربيعة، فَعُرِفَ بـ: الربعي الحليّ.

أَصبحَ أبو البقاء هبة الله محمد بن نما رأس هذه الأسرة في العلم والفضل والأدب، ولُقِّبَ بألقاب وكنًى عديدة، وقد وَصَفَهُ أَحَدُ أَحفادِهِ، وهو: جعفر بن محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله، في قصيدة مطلعها[٣٠]: (الطويل)

أَنـا ابن نمـا، إمـا نطقـت فَمَنطقي
فَصِيـحٌ إذا مَا مِصقَعُ القـومِ أَعجَمَا

ومنها، في مَدْحِ جدِّهِ أبي البقاء وعلمِهِ:

وجـدّ أبـي الحَبـر الفقيـه أبـا البقا
فمـا زال فـي نقـل العلـوم مقدمـا

لقد أوضحنا بما فيه الكفاية السـيرة العلمية بصورة خاصة لعميد أسرة آل نما، أبي البقـاء هبة الله محمد بن نما بـن عليّ بن حمدون الحليّ الرّبعيّ، وأوضحنا كذلك أنَّ جُلَّ

أبنـاء هذه الأسرة الكريمة من العلماء الفضلاء الأجلاء ، الذين كان لهم باعٌ طويل في العِلْمِ والفقهِ والروايةِ والدراية والأدب والحديث والقراءات القرآنية ، وبهذه المناسبة نستشـهد بما قاله الفقيه البارع يحيى بن سـعيد الهذلي الحلي[٣١] في وَصْفِ هذهِ الأُسرة الكريمة بما نصّه: «إن بيت ابن نما بيت عريق في العراق، شـهير بالعلم والفضل، وقد خرج من هذا البيت علماء وفقهاء لا يدرك شأوهم ولا يشق غبارهم».

تَتَّضحُ المكانة العلمية للشـيخ الرئيس العفيف أبي البقاء الحليّ في الحلة أنْ جعلَ داره في الجامعـين (بمدينة الحلة) مكانًا للدَّرسِ والإقـراءِ ، فقد ذكرتِ الرواياتُ[٣٢] التـي تؤيِّد ما ذُكِرَ عن قراءة كتاب سـليم بن قيس من أحد طلبة ابن نما في داره سـنة ٥٦٥هـ ، وذكرَ الشـيخ آقا بزرك[٣٣] نَصَّ ما جاءَ في صَدرِ بعضِ نُسَخِ كتاب سليم بن قيس ، هكذا : «أخبرني الرئيس أبو البقاء هبة الله بن نما بن عليّ بن حمدون بداره بحلَّةِ الجامعين في جُمادَى الأولى [سنة] ٥٦٥[هـ] ، عن الحسين بن أحمد بن طحال المقدادي مجاور النجف في ٥٢٠[هـ] عن الشيخ أبي عليّ ابن الطُّوسيّ في رجب ٤٩٠[هـ]».

وفاتُهُ :

اختلفـتِ الآراءُ وتضاربَـتْ وتناقضَـت بخصوص سـنة وفاتـه، واتَّخَذَ بعضُ المؤلِّفـينَ من حادثـةٍ معيَّنةٍ ، إذا كانت موثَّقةً تاريخيًّا ، ذريعةً لتحديدِ سـنة وفاتهِ – كما سنوضِّحُ في أدناهُ – وسنعرضُ أبرز آراء المؤرخين والمؤلفين بشأن تحديد تاريخ وفاته، على وفق تسلسل السنوات التي اعتمدوها.

لعلَّ ما ذكرناهُ عن إجازة الشيخ أبي البقاء لأحد تلامذتهِ ، بقراءةِ كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ في داره بمحلة الجامعين سنة ٥٦٥هـ، اعتُمِدَتْ تاريخًا لوفاة أبي البقاء في تلك السـنة ، أو أنَّهُ كان حيًّا سـنة ٥٦٥هـ ، وتُوُفِّيَ بعدها، بِوَضْعِ ثلاث نقاط أُفقيَّة هكـذا (...) بدلًا مـن ذِكْرِ تاريخ ولادتـه المجهول ، وإلى (–) ٥٦٥هـ ، كما فعل د. المهاجـر[٣٤] في ترجمة هبة الله بن نما الحليّ ، فكتب بعدَ خطٍّ عنوان اسـمهِ : (ح [حيًّا]:

٥٦٥هـ/ ١١٦٩م).

وذكر الشيخ أقا بزرك[٣٥] في ترجمة هبة الله بن نما، أنه من مشايخ الشيخ محمد المشهدي، مؤلف كتاب (المزار)، الذي صرَّحَ في أسانيد كتابه أنَّهُ روى عن هبة الله ابن نما في سنة ٥٦٩هـ، وكذلكَ في سنة ٥٧٣هـ، وذكر أقا بزرك أنَّ ابنَ نما كانَ حيًّا في تلك السنة، قائلًا: «فيظهر حياة أبي البقاء إلى هذا التاريخ»، أي إنَّهُ كان حيًّا سنة ٥٧٣هـ.

أمَّا السُّبحانيُّ[٣٦] فكان عنوان ترجمة أبي البقاء في مؤلَّفِهِ هكذا: «(... - ٥٧٥هـ)، وقال: «لم نظفر بوفاته»، وذكرَ أنَّ ابنَ المشهديِّ سمع منه سنة ٥٧٥هـ، فاتَّخذَها تاريخًا لوفاتِهِ.

وذكرَ ابن حَجَر[٣٧]، نقلًا عن ابن أبي طيّ، أنَّ هبة الله بن نما الحليّ، عاشَ بعدَ الثمانين وخمس مئة، أي إنَّهُ تُوُفِّيَ بعد سنة ٥٨٠هـ.

أمَّا ما ذكرهُ د. درادكة وخريسات[٣٨] من أنَّ محمد بن نما بن عليّ بن حمدون الرَّبعيّ، الملقَّب: هبة الله، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجري، فهو غير دقيق، بل يُفترض أنْ يُصحَّح إلى أنه عاش إلى النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وبذلك يكون تاريخُ وفاته بعد سنة ٥٨٠هـ، كما ورد عند ابن حجر العسقلانيّ، وهو التاريخ المرجَّحُ لوفاته، في الأعمِّ الأغلبِ.

كتاب: المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسديَّة

هو كتابٌ تاريخيٌّ زاخرٌ بالحوادثِ وأيَّام العرب وملوكهم، فضلًا عن تضمينه الكثير من الأشعار التي انفردَ بها المؤلِّفُ، ولا نجدُ بعضها في المصادر المعروفةِ، منها: أشعاره الخاصة التي نظمها في مناسباتٍ متعدِّدةٍ، كما سنوضِّحُ ذلكَ.

وأَصْلُ هذا الكتابِ نُسخةٌ مخطوطةٌ فريدةٌ في مكتبة المتحف البريطانيّ / لندن، تحت

رقم : ٢٣٢٩٦ ، متكوّنة من جزأين ، تمَّ نَشرهما بتسلسلٍ متواصل ، ومن المؤسف أنها لم تصل إلينا كاملةً ؛ بسبب خرم في أوَّلها وآخرها ، فضلًا عن الفراغات الكثيرة والكلمات الخالية من التنقيط ، والطمس في بعضِ صفحاتها .

يبدو النقصُ في نسخة المخطوطة الفريدة هذه واضحًا في أوَّلها ، إذْ تبدأ باللوحة رقم (١٣) ، علاوة على النقص الواقع في الجزء الثاني ؛ لأنَّ المخطوطة تتوقف عند اللوحة رقم (١٧٠) ، وقد لحق بعض صفحاتها خرم أو طمس[٣٩] .

قام بتحقيق المخطوطة د. صالح موسى درادكة و د. محمد عبد القادر خريسات، الأستاذان في كلية الآداب / الجامعة الأردنية ، وصدر الكتاب عن مؤسسة الرسالة في عمَّان سنة ١٩٨٤م .

وتجدرُ الإشارةِ إلى أنَّ كتاب (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية) طبعهُ ونشره مركز زايد للتراث والتاريخ في دولة الإمارات العربية المتَّحدة (العين ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) ، وهي نسخة طبق الأصل للطبعة الأردنية، باستثناء كتابة مقدمة له ، واختلاف في تسلسل ترتيب الصفحات في جزأيه ١-٢ ، وسوفَ نُشيرُ إليها في المبحث الثاني من بحثنا هذا .

جَعَلَ المؤلِّفُ غَرَضَهُ من تأليف هذا الكتاب تمجيد الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور ، ونَشر كريم شمائله ؛ لأنه كان ملك العرب في الحلة[٤٠] ، التي أُطلقَ عليها: حلَّة بني مزيد ، كما أنَّ هذا الأمير كان ذا شُهرة ومكانة ذائعة الصِّيت في الحلة وفي العراق عمومًا ، وكان أبو البقاء الحلي موثِّقًا سيرة الأمير، وكتبَ كثيرًا عن أحداث إمارته بروايات وحكايات مستقاة من مصادر متعددة ومتنوعة ، فضلًا عن توثيقها بأشعاره التي كانت خير وصف وترجمان لأحداثِ عصر الأمير، كما سنوضِّحُ لاحقًا في بحثنا هذا.

حاولَ المؤلِّفُ جاهدًا تضمينَ دفَّتَي كتابهِ معلوماتٍ متَّصلةً بعمق تاريخ العرب

قبل الإسلام ، ممَّا يُوحي للوهلةِ الأُولَى عدم التطابق المنهجي والفكريّ بين عنوان الكتابِ ومظانِّهِ ، الذي يفترض أنْ ينصبَّ تركيزه على أخبار أمراء بني مزيد الأسديين وأحوالهم ، لكن الواقع الذي تضمَّنه متن كتابِهِ كان خلاف ذلك تمامًا، فمن خلال قراءة الكتاب بتعمُّقٍ وأناةٍ ، يُدركُ القارئ والباحثُ أنَّهُ يبحث عن العصور القديمةِ، وبذلكَ يُشكِّلُ مصدرًا أساسيًّا لا يُستهانُ بهِ في دراسة الواقع العربي قبل الإسلام ؛ لِما يحويهِ من معلومات مفيدة ، مقتبسة من المصادر المختلفة ذات الأصول الدينيَّة والإخباريَّة التاريخيَّة ، وبهذا المنهج تمكَّنَ أبو البقاء الحليّ من ابتكارِ أسلوب بحثيّ ، تميَّزَ بهِ عن أقرانهِ من المؤرخين المعاصرين والسَّابقين له ، يتمثَّلُ بطريقة المقارنة بين حضارَتي الحيرة والحلة المزيديَّة ، على الرغم من الفارق الزَّمنيّ الكبير الفاصل بين تاريخَيهما ، وربَّما يكمنُ سببُ عقدهِ لهذه المهمة المقارنة بين الحضارتين ؛ في القرب المكاني بين الحيرة والحلة من جهة ، وإثبات أنَّ التاريخ ما هو إلَّا سلسلة من الحلقات المتَّصلة ، وأنَّ الحضارةَ تتناقل جيلًا بعدَ جيلٍ عبر الموروث التاريخيّ[٤١].

وتكمنُ دوافعُ المحاكاةِ بين حضارتَي الحيرة والحلة بِأَنَّ كليهما من القبائل العربية التي نزحت من شبه الجزيرة العربيَّة ، واستطاعتْ أنْ تُقيمَ لها كيانًا سياسيًّا خاصًّا مُستقلًّا عن السُّلطة الحاكمة ، فالسَّاسانيُّون كانوا يُعانونَ من هجمات القبائل على حدود العراق الغربيَّة ، فضلًا عن الروم ، وكذلك الحال بالنسبة للمزيديين الذين استغلُّوا الضعف الداخلي للخلافة العبَّاسيَّة ، فضلًا عن التقارب المكاني بين حضارَتَي الحيرة والحلَّة ، والتَّأثُّر والتَّأثير المتبادل بينهما[٤٢].

اشتمل كتاب (المناقب المزيدية) على مادة غزيرة وفريدة عن أحوال العرب قبل الإسلام ، ولاسيما مدَّة حكم آل نصر اللخميين في الحيرة ، وعلاقة ملوك الحيرة بالقبائل العربية ومع بلاد فارس ، وبيان سياسات الفرس تجاه العرب ، وعالج الكتابُ أحوال آل مزيد وحكمهم في الحلة ، ولاسيما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر

الميلادي ، ورَسَمَ صورةً واضحةً عن الوضع السياسيّ للخلافة العباسيَّة، واشتمل الكتابُ على موضوعاتٍ جديدةٍ ، كما أوردَ كثيرًا من الأشعارِ والأمثال والحِكَم والأقوالِ ، ما ليسَ موجودًا في المصادر المطبوعةِ ، ممَّا يدلُّ على أنَّ أبا البقاء الحليّ اطَّلعَ على مصادر لم تصل إلينا بعد[٤٣].

لمْ يصلْ إلينا من مؤلفات أبي البقاء ابن نما سوى هذا الكتاب ، ويعجبُ المرءُ أيَّما إعجاب ، وهو يطَّلع على قدرات عالمٍ فذّ ، جمع من شمائل المعرفةِ ما جعلهُ رئيسًا في عصرهِ ، ثمَّ لا يجدُ له ترجمةً وافيةً، ولا تُذكر له مؤلَّفات من كتبٍ ورسائل غير كتاب (المناقب) ، وكلُّ الدَّلائلِ تُشيرُ إلى أنَّ أبا البقاء لا بدَّ أنْ يكون قد ألَّفَ في الشعر والأدب والتاريخ والفقه ، غير أنَّ مؤلَّفاته لم يُكتبْ لها الوصول إلينا ؛ إمَّا لتعرُّضِ عائلة المؤلِّفِ لنقمة الأعداءِ في المذهب والاعتقاد ، أو في الميول السياسيَّة ، أو أنَّ عوادي الزَّمن أتت على مؤلفاته ورسائلهِ ، كما أتت على مؤلفات غيره في العراق[٤٤].

المبحثُ الثَّاني

أخبار أبي البقاء ابن نما الحلي عن الأمير صدقة وسيرته

تضمن كتاب (المناقب المزيدية) روايات وأخبارًا عن الأمير صدقة بن منصور المزيديّ بصورةٍ خاصَّةٍ ، وهي روايات محدودة ؛ لتمجيد ملك العرب الأمير صدقة، والإكثار من بيان شمائلهِ ، وإبراز مواصفات شخصيَّتِهِ ، المتمثِّلة بالكرم والشَّجاعةِ والنخوة والمروءة وحماية اللَّاجئ والخائف من سلطة الخلافة العباسية وسلاطين السلاجقة ، فَسَرَدَ لنا رواياتٍ توضِّحُ مواقفَهُ السِّيَاسيَّة والعسكرية تجاه الأحداث التي واجهتها الإمارة المزيديَّةُ في عصرهِ.

وَصَفَتْ عدَّةُ مصادر[٤٥] الأميرَ سيف الدولة صدقة بن منصور بأنه كان كريمًا، ذا ذمامٍ ، عفيفًا من الزنا والفواحش ، كأنَّ عليهِ رقيبًا من الصيانةِ ، ولم يتزوَّج على زوجته

قطّ ، ولم يتَّخذ السراري والجواري ، ولم يشرب مُسكرًا ، ولا سمعَ غناءً ، ولا قصدَ التَّسَوُّقَ في الطعام ، ولا صادرَ أحدًا من أصحابِهِ ، وكانَ تاريخًا للعربِ الأماجد كرمًا ووفاءً ، وكانت دارُهُ ببغدادَ حرمَ الخائفينَ.

ولعلَّ هذه الصفات المتميزة كانت السبب في إطلاق الخليفة العباسي المستظهر بالله ، لقب: ملك العرب على الأمير صدقة ، فقد بعثَ إلى صدقة كتابًا خاطبهُ فيه بهذا اللقب، وتحديدًا في شهر ذي الحجة سنة ٤٩٥هـ على رواية ابن الجوزيِّ[٤٦] ، وفي تلك السنةِ عمَّرَ صدقةُ الحلَّةَ ، أي أعادَ بناءها وحصَّنها واتَّخذها عاصمةً له ومركزًا لإمارته ، وكان قبل ذلكَ مقيمًا هو وأبوهُ في البيوت القريبة من الحلة ، أي في منطقة النيل.

سيكونُ منهجنا في دراسة الروايات والأخبار عن الأمير صدقة كما وردتْ في كتاب (المناقب المزيدية) ، وتوثيقها بأرقامِ الصفحات المتسلسلة للجزأين الأوَّل والثاني منه ، وبفقرات متسلسلة تباعًا.

(١)

عقد أبو البقاء الحليّ[٤٧] عنوانًا أطلق عليه : (سيف الدولة ملك الحلَّة)، روى عن محدِّثهِ الرئيس أبي نصر محمد بن عليّ بن جيا ، نقلًا عمَّن حَدَّثَهُ ، عن الأمير معتمدِ الدولة أبي المنيع قرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب ، من أمراء بني عقيل في الموصل والجزيرة ، أنه أحصَى مجموع مَن اجتمعَ في عسكر ملك العرب سيف الدولة نصرهُ اللهُ ، في منزلِهِ بدار السيب[٤٨] ، وذلك سنة ٤٩٤هـ ، وكان عددهم ١٢٠٠ مقاتل من أهل بيت آل مزيد وعشيرته بني أسد ، وكان الأمير (قرواش) المروي عنه هذا الحديث يومذاك في جملة جنده، وأحد مَن وقع عليه هذا الاسم : (أمير) ، ودخل في هذه الإحصائيَّةِ العددية هو وجماعة أهل بيته (المسيبون) ، وهم فرعٌ من قبيلة بني عقيل العربية الضاربة في الموصل والجزيرة

الفراتية ، كما شـملت الإحصائية عدد المقاتلين المجتمعين في منزل أمير العرب سيف الدولـة صدقة بن منصور الأسـدي وقتذاك : أمراء عشـيرة قرواش مـن العباديين ، وغيرهـم من : خفاجة وقبائل عقيل وكلاب ونمير وسـائر قبائل معد واليمن ، ومن الأكراد آل ورام وآل موسك ، والترك ، وغيرهم من الأعاجم .

وصفَ أبو البقاء هذا الجمع الضَّخم من العسكر تحت إمرة سيف الدولة صدقة، المجتمعين في داره في السـيب ، وصفًا رائعًا ، يدلُّ على حُسـنِ استعمالِهِ لمفرداتِ اللغة العربيـة وتمكُّنه منها ، قائلًا : «يظلُّهم ذراه، ويغمرهم نداه [كرمه]، وتضمهم أنديته، وتخفـق على رؤوسـهم ألويته، إذا رَأَوه غضّوا الأبصار هيبـةً وإعظامًا، إنْ نطق أرمّوا [سكتوا وصمتوا]، إجلالاً وإكرامًا» .

ووصـفَ أبو البقاء حبَّ قادة سـيف الدولـة صدقة وطاعتهم لـه ، والإسراع في تنفيـذ أوامره ، وتوجههم لحربِ أعدائه والانتصـار عليهم ، وصفًا رائعًا يوضِّحُ قوة شـخصيته الكارزميَّة وولاء قادته وجنده ؛ لخوض الحـربِ ضد الأعداءِ ، قائلا[٤٩] : «يترادفون حوله رجاء فواضله، ويزدحمون على استلام أنامله ، ويسارعون الى أمره ، ويقفون عند نهيه وزجره، وله فيهم وعليهم حقيقة المُلْك، لا مجازًا أو تَوَسَّعا ، وبسطة العزِّ والإنعام والبذل طبعًا لا تَطَبُّعًا، وكذلك لبس التاج كان أيضًا عادة لهم مستعملة في عصره، مطلقة غير محصورة، وهي متروكة في عصرنا هذا ...».

استمرَّ أبو البقاء في حديثه عن لبس القادة والأمراء التيجان ، فذكر أنَّ الأكاسرة ملـوك بلاد فارس كانـوا يُتَوِّجـونَ مَرَازِبَتَهم وغيرهم من وفود الناس، ويُلبسـونهم التيجـان مـع الحُلَلِ التي كانوا يكسـونهم ، وعَقَـدَ مُقارنةً بين هوذة الحنفيّ وسـيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد ، واسترسـل في الحديثِ المفصَّل عن قوس حاجب بـن زرارة ويـوم بئر معونة ، وشـخصيات عربية قبل الإسـلام وبعـده ، في أحوالهم ومواصفاتهم وتجاربهم في الحروب والوقائع.

لابدَّ لنا أنْ نُوَضِّحَ مناسبة هذا التجمع العسكري والاستعداد للقتال، وأسبابه ومسوغاته التي ترتبط بالوضع السياسي والعسكريّ الذي كانَ سائدًا في سنة ٤٩٤هـ، خلال عصر سيطرة السلاجقة على العراق، فقد كان الأمير صدقة على علاقة طيِّبة مع السلطان السلجوقي بركياروق، وترجع إلى زمن الصراع بين بركياروق وأخيه محمود، وبعدَ وفاة محمود استمال بركياروق سيفَ الدولةِ صدقةَ، فمالَ إليهِ وقصد خدمته وهو في أصفهان، وأقامَ ببابه مدَّةً يسيرةً، وجرَى بينهما عهدٌ وميثاقٌ، ولَمَّا جاءَ بركياروق إلى بغداد عن طريق الأحواز وواسط اتَّصلَ به صدقة، وظلَّ مؤيِّدًا لهُ حتى سنة ٤٨٨هـ، لَمَّا استولى داعية تاج الدَّولة تتش بن محمد ألب أرسلان على بغداد، توجَّهَ صدقةُ بجنده وعسكرَ في محلة باب الشَّعيرِ[٥٠] ببغداد، مُظهرًا مناصرته للسلطان بركياروق، ممَّا أدَّى إلى تركِ داعيةِ تتش بغداد، لكنَّ العلاقةَ تغيَّرتْ بين الأمير سيف الدولة صدقة والسلطان السلجوقي بركياروق بعد ذلكَ[٥١].

في سنة ٤٩٤هـ خرجَ الأمير صدقة عن طاعة السلطان بركياروق، وأعلن خطبته للسلطان محمد بن ملكشاه، ممَّا دَفَعَ السلطان بركياروق إلى إرسال وزيره الأعز أبي المحاسن عبد الجليل الدَّهستَانيّ لتهديد صدقة إذا لم يدفع إلى خزانة السلطان ألف ألف دينار، فإنَّ عساكرَ السُّلطانِ سوف تزحفُ لمحاربتهِ وطرده من بلادهِ، فاعتبرَ صدقةُ ذلكَ التهديد إهانةً لهُ، لذلكَ قَطَعَ خطبةَ السلطان بركياروق، وخطبَ لأخيهِ السلطان محمد، وكانَ السلطان بركياروق يعاني من مشاكل سياسية وماليَّة معقَّدة وشديدة، وقد عيَّنَ الدَّهستَانيّ للوزارة سنة ٤٩٣هـ[٥٢]، فلمَّا تسلَّمها وجدَ الخزينَةَ فارغةً، لذلكَ أرادَ التَّغلُّبَ على هذه المشكلةِ بمطالبةِ صدقة بهذه الأموالِ؛ ليصرفَها السلطان بركياروق على نفسه وعلى عساكره، وكتبَ إلى الخليفة العباسيّ المستنجد بالله: إنَّ المَطالبَ قد امتنعت، ولا بدَّ من إعانتنا بشيءٍ نصرفه على العسكرِ[٥٣].

الواقعُ أنَّ تمرُّدَ صدقة على السلطان بركياروق في حالِ بقائه في بغداد واستقراره

فيها ، يشكِّلُ خطرًا كبيرًا على صدقة ونفوذهِ ؛ لذلكَ لمْ يستطع السلطان بركياروق تجهيز حملة عسكرية ضد صدقة ، وفي تلك الظروف استطاع السلطان محمد بن ملكشاه أنْ يُسيطرَ على بغداد ، لكنه لم يبقَ فيها ، بل سيُعيِّن نائبًا عنه ، ويعود إلى بلاد فارس ، وهذا ما يدعم تأييد صدقة للسلطان السلجوقي الذي يكون بعيدًا عن بغداد، ولا يُهدد سلطة صدقة ونفوذه داخل العراق .

كانَ سَبَبُ تَمَرُّدِ صَدَقَةَ على السلطان بركياروق وخطبته لأخيهِ السلطان محمد بن ملكشاه ، رسالة التهديد التي بعثها الوزير عبد الجليل بن محمد الدَّهستَانيّ ، ولَمَّا قرأ صدقةُ هذا الكتابَ طردَ الرسول العميد بطريقةٍ مُضحكةٍ ، إذْ أمرَ بِقَطعِ أطناب الخيمة على الرسول ، الذي خرجَ وركبَ عائدًا في الحال ، وكتب إلى سيف الدولة صدقة أبياتًا في طريق عودتِه مُهَدِّدًا له[٥٤]:

ونُرجِّحُ أنَّ هذه الحادثة كانت السبب في رواية أبي البقاء عن ذلك التجمع العسكريّ ، الذي تمَّ في دار سيف الدولة صدقة في السِّيب ، لمواجهة أي خطر يهدد إمارته في الحلة ، بعد رَفضِهِ شروط السلطان بركياروق ، وعدم الاستجابة لرسالة الوزير الدَّهستَانيّ ، وإهانة رسوله في خيمة سيف الدولة وعودته إلى بغداد ، وتهديد الأمير صدقة بن منصور بالحرب ، لكن سيطرة السلطان بركياروق على بغداد لم تستمرّ إلَّا قرابة الشَّهر ، وانتهت بعودة السلطان محمد بن ملكشاه حليف الأمير صدقة إلى بغداد ، وسيطرته عليها سنة ٤٩٤هـ.

(٢)

عقد أبو البقاء الحليّ[٥٥] عنوانَ : مناقب سيف الدولة ملك الحلة نصره الله ، تحدَّثَ بعد هذا العنوان عن مناقبه ، بعد حديثه عن مُلوك الحيرة اللخميين آل نصر ، فقد أوردَ لهم سلسلة طويلة في ترتيب أسماء ملوكهم[٥٦] ، وكانَ هدفه المقارنة بين ملوك الحيرة وسيف الدولة صدقة ، وبيان شمائله وخصائص شخصيته الجذَّابة ،

بأسلوب لغوي بلاغيّ ، يتَّضحُ فيه كيلُ المديح والثناء للأمير صدقة إلى حدِّ المبالغةِ ، إذْ قالَ : «لا كان فيهم [ملوك الحيرة] مَن يشق في الشرف غباره، ولا يقاربه في رتبة ولا يدانيه في منزلة؛ لأنَّ الله تعالى فَضَّله [صدقة] عليهم بدينه وحسبه ونسبه وعزّ جانبه وسعة ملكه وثروته، وشَرَّفَ نَفسَهُ عن أفعال دنية أسفوا عليها وحلَّقَ [ابتعد] عنها، وخلال ذميمة تَبَاعَدَ عَن أمثالها ودَنَوا منها. وسيأتي من ذِكْرِ فضلهِ عليهم في سائر أحواله، وجميع خلاله، بما يكون بَيِّنَةً واضحةً على صحة ما ذكرناه، وشاهدًا عدلاً على ما أوردناهُ، وتفصيلًا لجملته ومفتاحًا لرتَاجِهِ ...».

استدركَ أبو البقاء بعد ذلكَ في حديثِهِ ، مُشيدًا بشرفِ آل نصر ملوك الحيرة ومجدهم ، قائلًا : «على أننا لا ننكر شرفهم في أيامهم، ولا نجحد ما نالوه من المُلكِ والعزِّ في أزمانهم، ولو لم يكونوا ذوي شرف ومُلك ومَنعَة وعزّ لَمَا قلنا إنه [صدقة] أشرف منهم ولا أعلى قدرًا، ولا أعزّ جانبًا وأوسع مُلكًا، ولا قسنا بين أفعاله وأفعالهم ليعلم أنها أحسن وأجمل، ولا نظرنا في سيرتِهِ وسِيرَتهم ليبين لنا أنها أبلغ عزًّا وأكمل، غير أَنَّنا نقول إنَّ خلالهم في أنفُسِهم وإنْ شرفوا، وأقدارهم في مُلكهم وعزِّهم وإنْ كانوا قد عزُّوا وملكوا مقصرةً عن خلاله الشريفة في نفسه، وما نالهُ من العِزِّ والبسطة في عصره ..».

استمرَّ أبو البقاء في مقارنته بين صفات صدقة بن منصور وبين ملوك الحيرة من آل نصر ، قائلًا : «ونعتذرُ عمَّا نأتي به من كشف أحوالهم، ومعايبهم ومناقصهم ومثالبهم وسوء سيرة كانت منهم، أو وهنٍ في مُلكهم، أو غميزة عليهم نُوردُ ذكرها، أو خلَّة ذميمة نكشف أمرها، بأنه لا طريق لنا إلى حُصُولِ الغَرَضِ الذي نحوناه من إيضاح لردِّ فَضلِهِ عليهم إلَّا بذلك، لكونِ الأفعال دالةً على قدر فاعلها، والآثار دالة على قدر مؤثرها».

وهكذا يتَّضحُ لنا بجلاءٍ أنَّ أبا البقاء استعملَ أسلوبين في تفضيل الأمير

صدقـة على ملوك الحيرةِ من آل نصر ، الأسـلوب الأوَّل أنَّ لديهـم شرفًا في أيَّامهم ، وأنهم نالوا المُلك والعزّ والمنعة خلال حكمهم ، لكنهم لم يكونوا بمرتبة الشَّرفِ والعزّ والمنعة التي نالها الأمير صدقة بن منصور ، وفي أسلوبه الثاني اعتذرَ وترفَّعَ عن كشف أحوالهم ومعايبهم ونواقصهم ومثالبهم وسـوء سير ملوك الحيرة من آل نصر ، مُبرِّرًا ذلـكَ بأنَّ قصده وهدفه توضيح أن الأمير صدقة له فضل عليهم ؛ لأنه أفضل منهم، ولأن الأفعالَ تدلُّ على فاعلها ، وأنَّ ما يتركُهُ الإنسـانُ يَـدُلُّ على قَدْرِ وقِيمَةِ مَنْ تَرَكَ عملًا يُذكر بالمدح والإحسان فيه بَعد موتِهِ وانقضاء مدة حكمه .

ونسـتنتج مما سـبق أن أبا البقاء كان متحيزًا إلى جانب سيف الدولة صدقة ملك العرب ، وأنه أفضل من كل الملوك الذين سـبقوه زمانيًّا ، فاستشـهد بشـعر لعدد من الشعراء ؛ لبيان صفات العزم والشجاعة والنخوة والمروءة وقوة الشكيمة التي تتمثل في شخصية سيف الدولة[٥٧].

(٣)

تحـدَّثَ أَبو البقاء بن نما الحليّ[٥٨] عن المواقف المشرفة لأهل الإسـلام ، وقارن مـع مواقفهم في الجاهلية وحروبهـم قبل ظهور المزيديين ، مشـيرًا إلى روايات بعضِ أصحاب السيرة والتاريخ ممَّنْ ذكروا حروب المسلمين ضد الروم والفرس في معركة اليرمـوك بقيـادة أبي عبيدة سـنة ١٥ هـ ، وذكر أعـداد قتلاهم بروايـات لا تخلو من المبالغة، وكذلكَ مَنْ قُتِلَ في معارك القادسـية وجلولاء ونهاوند ، فضلًا عمَّنْ قُتِلَ في معركة الجمل في البصرة ، وكانَ عددُ مَنْ قُتِلَ في هذه المعاركِ بالآلافِ من أهل العراق وبلاد الشام ، وبالمقارنة مع حروب العرب في الجاهليَّة وحروبهم في الإسلام أنه كان يمثِّلُ شرفًا للعربِ في تلك الحروب ومجدًا لمقاتليهم من الفرسـان ، ولكن شرفهم في أهل الإسلام كان أعظم شرفًا من أهل الجاهليَّةِ ، وكل مَن سمّوا لهُ بالجاهليَّة مواقف مشـهورة وأيَّامًا مذكورة ومسـاعي عظيمة ، ففي أهل الإسـلام بحمد الله مَنْ كانت

مواقفه أشهر ومساعيه وأيَّامه أعظم.

وذكـر أبـو البقـاء أنَّ الغاية من ذكر تلك المواقف هي أن تكونَ قياسًـا مطردًا لِمَا قَصَدَهُ من تفضيل ملك العرب سـيف الدولة صدقة على كلِّ من تقدَّمَ ممَّنْ سُمِّيَ بهذا الاسـم (ملك العرب) في الجاهلية ، ومقدمة له وسـياقة إليه ، وشـاهدًا عدلًا عليه، معلِّـلًا هـذا التفضيـل لملك العـرب صدقة ؛ بأن الـرواة ذهبـوا إلى تفضيل غيرهم ، وأعطوهـم ألقابًا وكُنًى ومنجـزات، وادَّعوا لهم أضعاف ما اسـتحقوه من التبجيل، فبالغـوا في ذلك كثيرًا ، ويتجلى ذلك في جواهر كلامهـم وغرائبه ونثرهم ونظمهم ، ونطقوا بكل طريفة عجيبة، وفاهوا بكل مستحسنة غريبة، كثَّروا بها القليل ، وعظَّموا بها الصَّغير، وفاتوا بها من جاء بعدهم.

(٤)

تحدَّثَ أبو البقاء الحليّ[٥٩] عن فضلِ ملك العرب سيف الدولة صدقة على ملوك العرب ولاسـيما ملوك الحيرة من آل نصر اللخميين ، وهو : فضله عليهم في الدين ، ممهِّـدًا لذلـكَ بحديثٍ طويلٍ ، عـن جذيمة الأبرش الملك ، وعن تنـصُّرِ ملك الحيرةِ النعمان بن المنذر وأُختَيهِ، واعتبرَ أبو البقاء هذه الروايات من نَسْجِ الخيال .

نستنتج مما ذكره أبو البقاء عن ديانات العرب قبل الإسلام ، من خلال الأمثلة التي ذكرناها أن هؤلاء الذين عاشوا في عصر الجاهلية ، لا يمكن أن يقارنوا في المجال الديني مع سيف الدولة صدقة الذي كان مسلمًا مجاهدًا لأعداء الإسلام ، وقد وَظَّفَ أبـو البقاء العامل الديني من خلال استشـهاده بآيتين قرآنيتـين في مجال المقارنة بينهم وبـين ملك العرب صدقة الذي يمثل دور الموحد المؤمن بالله ورسـوله ، وبين هؤلاء المشركين والكفار ، وبذلك ربط أبو البقاء الحلي بين أثر النص الديني وانعكاساته على الواقـع التاريخي ، من خلال المقارنة بين المشركين والكفار من العرب قبل الإسـلام،

ومَنْ تنصَّرَ وتهوَّدَ منهم ، وبين المسلمين الموحدين، التي مثَّلها خير تمثيل الأمير صدقة.

(٥)

استمر أبو البقاء[٦٠] في بيان فضل صدقة بن منصور بالفضل على العرب ، فتحدث هنا عن فضله عليهم بالنسب موضحًا أنَّ فَضله عليهم في النَّسَبِ ظاهرٌ وواضحٌ ؛ مُبرِّرًا ذلك بأنَّ الله سبحانه أَخرجَهُ من ذرية إبراهيم وسلالة إسماعيل (صلى الله عليهما) ، وقد ذكر فضل هذا النسب بطريق مستوفي الشرح ، مبينًا مقدمًا أنَّ باقي الناس ليس لهم مثل ذلك.

وابتدأ بالحديثِ عن ملوك الأزد الثلاثة ، وهم : جذيمة بن مالك الأبرش ، وأبوهُ مالك وعمّه عمرو ، ابنا فَهْم ، فقد نُسِبُوا إلى الأزدِ ، وأوضحَ تفصيل نسب كلِّ واحدٍ منهم ، وروى عن الطَّبريِّ ، عن ابن الكلبيِّ روايات عديدة عن نسبهم ، وتطرَّقَ إلى نَسَبِ آل نصر ملوك الحيرةِ ، وروَى عن نسبهم عدَّة روايات ، وأوضحَ سببَ انتقال المُلكِ إليهم بتفاصيل اختلطتْ فيها الروايات الدينية والمثيولوجية الطويلة والعديدة المفصلة.

أَفرد أبو البقاء الحليّ معلومات مطوَّلة ذات قيمة تاريخيَّة في فهمِ ماهيَّة القبيلة، وتأكيده جذور بعض القبائل العربية العميق والبعيد زمنيًّا ، وربطها ببعض الحوادث؛ لإبرازِ دورها في التاريخ القديم وقبل ظهور الإسلام ، في محاولةٍ منه لإثباتِ عمق حضارة العرب ، ومدَى تأثيرها في الأجيال القادمة ، وصولًا إلى عصر الرسالة المحمدية ، وظهور الرسول الأكرم محمد ﷺ ، الذي طبَّقَ الإسلامَ ومبادئهُ ، ولاسيما في وسط شبه الجزيرة العربية ذات الطابع البدويّ الصِّرف ، لذلك انطلقَ أبو البقاء في وضع بعض القبائل العربية بين دفتي دِرَاسَتِهِ التاريخية ، معتمدًا عليها في تأسيس كيانات سياسيَّة قبليَّة قبل الإسلام ، ثمَّ في تأسيس إمارات عربية إسلاميَّة بعد ذلكَ ، ومنها الإمارة المزيديَّة الأسديَّة ، وكان أبرز رجالها ملك العرب سيف الدولة صدقة.

وكما تساءل أبو البقاء في موضوع فضل سيف الدولة على العرب في الدين ، تساءل أيضًا في موضوعه هذا : «فضله عليهم في النسب» قائلا[٦١] : «فكيف تقام أنساب هؤلاء على ما ترى فيها من العجائب بنسب يرجع إلى إبراهيم، وهو خيرة الله من خلقه، وإلى إسماعيل ، وهو أكبر ولده، وبه كانت البشارة الأولى، وهو الذبيح بالدليل القاهر الذي لا يمكن دفعُهُ».

وركَّزَ أبو البقاء الحليّ على إبراز القيم القبلية التي تميزت بها القبائل العربية، من حيث تأكيد دور النسب العربي الأصيل في تنشئة الفرد والجماعة ، والالتزام بقيم العرب الأصيلة التي أطرتها القبيلةُ وجسَّدتها في حياة أبنائها ، وعلاقتهم مع القبائل الأخرى ، فكانت المفاخرة بالأنساب من أبرز مظاهر التقاليد العربية القبلية قبل الإسلام ، واستمرت بعد ظهور الإسلام ، ولكن من خلال الجهاد والدفاع عن الإسلام ، والالتزام بالقيم الإسلامية الجديدة ، من التوحيد والإيمان بالله الواحد الأحد ، فكانوا المرآة التي عكست تلك القيم النبيلة والمُثل العليا، وكان لصدقة بن منصور دورٌ فعَّالٌ في تطبيق مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ورسالته السمحاء.

(٦)

واصل أبو البقاء الحليّ[٦٢] حديثه عن الفضائل ، وخصص عدة عنوانات لفضائل القبائل بشكل خاص ، بدءًا من معد بن عدنان أوَّلًا ، وفضل نزار بن معد ، وفضل مضر بن نزار ، وفضل الياس بن مضر ، وفضل مدركة بن الياس ، وفضل خزيمة بن مدركة ، وفضل أسد بن خزيمة في نفسه.

في حديث أبي البقاء[٦٣] عن فضل معد بن عدنان ، بدأ حديثه بقوله : « كان معد بن عدنان فيما روي، سديد الرأي، كامل العقل، كثير الشكر لله عز وجلَّ، وهو الغني باسمه عن التعريف بآبائه، المقتنع بشهرته ونباهته عمن تقدمه ممن بينه وبين إسماعيل عليه السلام. وروي أنه كان بينه وبين إسماعيل عليه السلام ثلاثون أبًا، وقيل دون

ذلك وأكثر منه ، والنسب الموجود في أيدي الناس يدل على دون هذا العدد بكثير»، وجاء أبو البقاء بتوثيق هذه الرواية عند جمهرة من المؤرخين المسلمين.

أما فضل نزار بن معد فلخَّصَهُ أبو البقاء[٦٤] بأَنَّهُ وصيّ أبيه ، وخصه بوصيته دون غيره من ولده ؛ لما رآه مِن صلاحِهِ وسُؤدده، وأوصى إخوته بطاعته ، وأمرهم بإكرامه وتسويده، وكان القيم بأمرهم بعده ، والمحافظ على شرفهم ، وفي ولد نزار الشرف على ولد أعمامهم جميعًا بفضل أبيهم ورئاسته.

ثمَّ ذكر فضل مضر بن نزار[٦٥] ، ثم ذكر [٦٦] فضل إلياس بن مضر، وكان مدركة بن إلياس – كما ذكر أبو البقاء[٦٧]– سيِّد إخوته ورئيس قومه ، والقائم فيهم مقام أبيه.

وبخصوص فضل خزيمة بن مدركة ضمن تسلسل تولِّي قيادة القبيلة وراثيًّا ، فقد وصفه أبو البقاء الحليّ[٦٨] كما وصف سابقه ، وساق أوضح فيها اعتقاد خزيمة وقبيلته بوحدانية الله تعالى.

أنهَى أبو البقاء الحليّ هذه الرحلة الوصفيَّة عن تركيبة المجتمع القبلي قبل الإسلام، بوصفٍ لشخصية أسد بن خزيمة[٦٩] ، موضِّحًا فضلَهُ، وأضفى عليه بعض سمات الورع والتقوى والإيمان بحنيفية إبراهيم عليه السلام والدعوة إليها ، وتأكيد الالتزام بمبادئها وأحكامها .

كان هدف أبي البقاء من خلال هذه التفاصيل الطويلة عن نسب معد بن عدنان، ومن جاء بعده ، توضيح أن سيف الدولة صدقة ينحدر من هذا النسب الشريف، نسب أسد بن خزيمة ، فذكر أن العرب ينحدرون من ستة أجداد ، جدان منهم في خندف، هما : أسد بن خزيمة ، وتميم بن مر ، وهؤلاء هم آباء سيف الدولة صدقة بن منصور ملك العرب ، وهم آباء قومه (بني أسد) الذين اليهم ينتسبون وبانتمائهم إليهم يبجحون وبفخرهم وبشرفهم يفخرون.

وأنهَى أبو البقاء الحلي رحلتَهُ الطويلة هذه في وصف تركيبة نسل معد بن عدنان ؛ بهدفِ تأكيد حقيقة : هي أنَّ ملك العرب سيف الدولة صدقة بن منصور ينحدرُ من هذا النسب الشريف ، نسب إبراهيم وإسماعيل ومحمد (صلى الله عليهم أجمعين) ، فهو من نسب شريف معروف بالمنزلة الرفيعة والمكانة الاجتماعية السامية، فاختتم هذا الموضوع بالتَّساؤُلِ ، قائلا[٧٠] : «فكيف تقاس تلك الأَنساب المختلف فيها المطعون عليها بِنَسَبِ مَلكِ العرب سيف الدولة أبي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس بن عليّ بن مزيد بن مرثد بن الديان بن غدوّر بن عدلي بن جلد بن حيي بن عبادة بن مالك بن عمرو بن أبي المظفار بن مالك بن عوف بن معاوية بن كسر بن ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ..».

وهكذا أوضَحَ لنا أبو البقاء تسلسل نسب سيف الدولة صدقة تفصيلًا مُطوَّلًا إلى معدِّ بن عدنان ، وهو جدُّ رسول الله ﷺ ؛ ليُبيِّنَ شرفَ نسب سيف الدولة، وهو النسبُ العربيّ الأصيل .

(٧)

كتب أبو البقاء هبة الله بن نما العنوان[٧١] : من مناقب سيف الدولة ، بدأهُ بالحديث عن إقامته في منزله ومنزل أبيه وجدِّهِ ، مُتَحَصِّنًا في منطقة النيل ، رافضًا الذهاب إلى بغداد ، بسبب اشتداد الصراع بين أبناء البيت السلجوقي وضعف الخلافة العباسية، ورغم المراسلات الواردة إليه من بغداد بالحضور ، إلَّا أنه كان رافضًا لها ومقيمًا في أراضي إمارته ، وهو يراقب مجريات الأمور وصراع المتنافسين في بغداد .

ومن مناقب سيف الدولة صدقة بن منصور ، أنَّ السلطان الأعظم سنجر بن ملكشاه ، نزلَ أيَّام حداثته لأمرٍ عَرَضَ ، فقامَ بخدمته إلى أنْ زالَ ذلكَ ، وسارَ في خدمته إلى حيثُ أرادَ ، بعد أن التزمَ عليه وعلى أصحابِهِ من المؤن ما يلتزم مثله لمثلِهِ.

ومنهـا أنَّ الوزيـرَ عميد الدولة أبا منصور بن جهـير خاف من تاج الدولة تتش فخرج إلى حلَّة سيف الدولة، فنزل بها إلى زوال ما كان يخافه، ثم عاد منها إلى بغداد[٧٢].

ومنها أنَّ عسـاكر الترك شغبت على ركن الدولة بركياروق، ومالوا عنه إلى أخيه السلطان محمد بن ملكشاه، ونهبوا أمواله وماشيته، وقتلوا صاحبه أبا الأفضل أسعد بن محمد، فَخَرَجَ بركياروق في نفرٍ يسـيرٍ من غِلمانِهِ إلى الأهواز ثم خرج منها قاصدًا سـيفَ الدولة، واثقًـا منه بالوفاء والعهد الذي عقد بينهـما، رغم وصول كتب أخيهِ السـلطان محمـد بالتَّحـوُّلِ إلى طاعتهِ وترك التزاماتـه مع أخيهِ بركيـاروق، وقد قدم الأميرُ صدقة إلى بركياروق كلَّ أسـباب المسـاندة في تلك الظـروف الصَّعبةِ، فحمل إليهِ الأموالَ والسـلاح والسّرادقات والخيام والفـرش الجميلة والملابس التي تصلح إليه مع حَاشيتِهِ، وأعادهُ إلى مُلكهِ، وأجلسَهُ على سرير المُلك، واستمرَّتْ تلك العلاقة بينهما إلى أن اسـتوزرَ عبد الجليل بن عليّ بن محمد الدَّهسـتَانيّ[٧٣]، الذي كان السبب الرئيـس في تدهور العلاقة بينهما، من خلال رسـالته التي هـدَّدَ بها صدقةَ بدفعِ ألف ألف دينار لخزانة السـلطان، وإلَّا فإنَّ العسـاكرَ ستطأ أرضَهُ، وطالبَ صدقةُ بتسليم الدَّهسـتَانيّ إليهِ، شريطة دفع تلك الأموال، واسـتمرار خدمته للسلطان بركياروق، لكـنَّ الخلاف اسـتمرَّ، ممَّـا أدَّى إلى تحوُّل ولاء صدقة وطاعته إلى السـلطان محمد بن ملكشاه، أخي السلطان بركياروق، كما ذكرنا آنفًا.

ويرَى أبو البقاء[٧٤]: إن موقف الدَّهسـتَانيّ كان سـببًا من أسـباب القطيعة بين سـيف الدولة صدقة والسـلطان بركياروق، وميل سـيف الدولة إلى أخيه السلطان محمد بن ملكشاه، الذي دخل بغداد بعد انسحاب بركياروق إلى بلاد فارس، وكانت هذه فرصة سـانحة لاستمالة سيف الدولة إلى جانب السلطان محمد، فمال إلى خدمته ودخـل في طاعته، فقرَّبه ورفع درجته ومرتبته وتمسَّـك به بكلتـا يديه، وهكذا علت منزلة سـيف الدولة صدقة عند السلطان محمد بن ملكشـاه، فكان المُلك عقيد ملك

العرب سيف الدولة وحليفه وصفيّهُ وأليفهُ ، في حين أن اصطفافه مع السلطان كان خسارة شملت معظم أحواله في أمواله ونفوذه ، وضعفًا لقوته السياسية والعسكرية، فضلًا عن عدم رضا الخليفة العباسي عن معظم تصرفات بركياروق السيئة التي مارسها هو وجنده في بغداد وفي أنحاء العراق.

وذكر أبو البقاء[٧٥] أن أياز التركي أعلن العصيان على السلطان محمد بن ملكشاه، ووقف إلى جانب السلطان بركياروق، الذي شعر بِدنوِّ أجلهِ سنة ٤٩٨ هـ ، فعيَّن ابنه الصغير ملكشاه البالغ من العمر (٤) سنوات سلطانًا ، تحت رعاية الأمير أياز ، ودخل به إلى بغداد، وأعلنت الخطبة باسم هذا السلطان الصغير، في الوقت الذي كان السلطان محمَّد مشغولًا بحرب جكرمش في الموصل ، وبعد سماع السلطان محمد بوفاة أخيه بركياروق تصالح مع جكرمش وجلس للعزاء، وقام الأمير صدقة بجمع حوالي خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل، وسار باتجاه بغداد ، وتمسك صدقة بعهده مع السلطان محمد ، فأرسل ولديه بدران ودبيسًا إلى السلطان محمد في الموصل يخبره بما حدث في بغداد ، ويحثه على سرعة العودة إليها ؛ لإخراج ابن بركياروق منها ، وفِعلًا انتَصَرَ صدقة ودخل أياز في طاعته عنوةً .

ومن مناقب الأمير سيف الدولة صدقة ، ذكر أبو البقاء[٧٦] أن الخليفة العباسي المستظهر بالله ، حصلت بينه وبين السلطان بركياروق ، وحشة ومنافرة، ووصلت الأمور إلى ضجر الخليفة المستظهر ، وربما استوجب الحال خروج الخليفة من بغداد، والتوجه إلى سيف الدولة صدقة في الحلة ، إذ لم يجد غيره أهلًا لهذه المهمة ، فقام بها أحسن قيام ، وقرَّرَ مع الخليفة ما أراد من قوانين الخدمة وملازمته بنفسه ، أي حراسة الخليفة في بغداد من قبل الأمير صدقة ، ووقوفه بباب سرادق الخليفة ، مع كون أولاده وبني عمه وثقاته محيطين به ليلًا ونهارًا ، وتساءل أبو البقاء : «فهل من كانت هذه صفته وأحوال عزه أولى بالتسمية بملك العرب ، أم النعمان الذي جاء بكتاب كسرى يستقدمه

فلم يجسر أن يصبح بالحيرة؟ فليتأمل متأمل ما ذكرناه ولينصف عند استماعه ما قلناه».

(٨)

ذكر أبو البقاء[٧٧] ما فعل النعمان بن المنذر ملك الحيرة ببني عامر، مقارنة مع ما فعله ملك العرب سيف الدولة بهذه القبيلة، فقد عاملهم النعمان معاملة قاسية، وأضاف أبو البقاء أن عساكر السلطان السعيد ملك شاه بن ألب أرسلان، الذي دانت له العرب والعجم، تغلبت على بني عقيل ومن معها من قبائل بني عامر في أطراف آمد، وذلك سنة ٤٩٨هـ.

ونرجِّحُ أنَّ أبا البقاء وقع في وَهمٍ واضح جدًّا؛ ذلك أنَّ السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان تُوُفِّيَ سنة ٤٨٥هـ[٧٨]، وكان السلطانُ السلجوقي في سنة ٤٩٨هـ محمد بن ملكشاه، ونرجِّحُ أنَّ الغلبةَ على بني عقيل كانت في عهد السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، أو بعده.

وَاصَلَ أَبو البقاء حديثَهُ عن حرب بني عامر مع قوَّات السلطان السلجوقي، فتمَّ هزيمة شرف الدولة مسلم، وأسر قريش بن بدران بن كثير بن المسيب، كما أُسِرَ من أشرافهم وأعيانهم عدد كبير، فيهم جماعة كثيرة من آل المسيب، ففداهم سيف الدولة بكل ما كان في خزائنه، ثم كثر عددهم عليه فاشتراهم بآنيته وحلية مراكبه، ثم كثروا فاشترى الباقين منهم بالماشية والسلاح، ثم اقترض من أصحابه وحشده وحاشيته، ومن أمراء الترك وغيرهم، وكساهم وحملهم وسيَّرهُم حتى ألحقهم بقومهم.

وذكر أبو البقاء أَنَّهُ سمع مَن تحدَّثَ أنَّ التُّركَ كانوا يتعاملون بقسوة مع أسراهم بالوثاق والضَّربِ، ويقولون لهم: اشتروا أنفسكم، فلا يجدوا مخرجًا إلَّا أنْ يقولُوا لهم: امضُوا بنا إلى معسكر سيف الدولة ابن مزيد ليشترينا، فيفديهم بأمواله وفق ما كان يعمل أبوه وجدُّهُ، ولعلَّ هذا التَّصرُّف أغاض السلطان محمد بن ملكشاه، لكن سيف الدولة صمَّمَ على فداء أسرى بني عقيل، وبَذَلَ جاهَهُ ومالَهُ لأكابرهم

وأعيانهم ، فأعانهم سـدَّ ثلمهم ، وهـذه الأخلاق العالية والمكارم السَّـنيَّة منه كانت عامة ، فكان يرسـلُ برَّهُ وإحسانَه مِن صنوف الأطعمة والكسوة باستمرار إلى هؤلاء الأسرى.

قـام شرف الدولـة مسـلم بن عقيل بزيـارة ملك العرب صدقـة بن منصور ، وقصده شـاكرًا فضله ، فنزل بباب السرادق ، ونهض سـيف الدولة فتلقَّاهُ وجلسَـا ، فأفاضَ شرف الدولةِ في شُكْرِه وشُكرِ أبيه وجدِّهِ ، واعترفَ بفضله وفضلِ أبيهِ وجدِّهِ وحُسن صنيعهم ، وكيف كانا عونًا وساعدًا لبني عقيل ، وأنَّ سيف الدَّولةِ زاد عليهما في إحسـانِهِ ومعروفِهِ ، وبهذه المناسـبةِ نظمَ أبو البقاء قصيدةً في مديح سـيف الدولةِ ملك العرب ، قائلًا [٧٩]: (البسيط)

بِـــــآمِـــدٍ وَبِمَيَّافَارِقِـينَ لَـــــــهُ
وَقَائِـعٌ دُوِّنَـتْ مِـن قَبلُ فـي الكُتُبِ
كانَـتْ وَقَائِـعُ تَتلُوهَـا صَنَائِـعُ لَـمْ
تُفسَـدْ بِمَنٍّ ، ولَـمْ تُخلَطْ ولمْ تُشَـبِ

ولما عاد سيف الدولة إلى بلاده ، أراد التوجه إلى باب السلطان محمد بن ملكشاه، لكن أباه منعهُ ؛ خوفًا عليه من غدر السـلطان به ، بعدما عرف موقف سـيف الدولة مـن فداء أسرى العرب من بني عقيل ، وطلب من صدقة البقاء في حلته وعشـيرته ، وأنه سوف يذهب لمقابلة السلطان ، فَقَضَى اللهُ حاجتَه ، وكفاهُ ما حذره.

(٩)

خصَّـصَ أبـو البقـاء الحليّ[٨٠] العنوانَ : مـن أخبار النعمان بن المنـذر ، ذكرَ فيه مسـاوئ النعمان وسـوء سيرته ، ولاسيما فيما يتعلَّق بِسُنَّتِهِ سـيِّئة الصِّيت ، المعروفة بـ: يومَي البؤس والنعيم ، وضربَ مثلًا لذلك التصرُّف السَّيِّء ، عندما وفدَ إليهِ عبيد بن الأبرص الشاعر ، يطلب جائزته ، فقام النعمان بقتله.

وكان هذا الفعلُ من النعمان من الأفعال القبيحة أشهر من أن يدلّ عليهِ ، ذلكَ أنْ يأتيه رَجلٌ مِن العربِ حسيب نسيب ، كبير السِّنِّ ، شريف القبيلة ، وافدًا عليه يرجو صلتَهُ ويطلب جائزته ، قد قطعَ إليه المفاوزَ ، وعمل فيه المدائحَ ، وأحسنَ الظَّن به ، لكنه قتله بغيًا وعتوًّا .

وضربَ أبو البقاء مثلًا آخر على سوء سيرة ملك الحيرة النعمان بن المنذر ، يتمثَّلُ في قتل عديِّ بن زيد ، ولمْ يكن قتله في يوم بؤس الملك النعمان ، وكان سبب قتله أشدَّ قُبحًا وأدلَّ على ضعف وقلَّة حرمة من قتله للشاعر عبيد بن الأبرص ؛ لأنَّ زيدًا أبا عدي كان تَوَلَّى حضانته وتربيته ، وكان عدي قد زَوَّجَ ابنتَهُ (هندًا) ، وقيل بل هي أخته ، وهي صاحبة الدير في الحيرة، وفي هذا الفعل أنواع كثيرة من القبائح ، فيها البغي والظلم وخلاف ما تقتضيه حُسن سياسة الملوك ، ، وهذه الخلال كلها من غير صفات الملوك ، وتساءل أبو البقاء ، قائلًا : «وأي ذنب عظيم أو يسير كان أسلفه عبيد حتى يقتله ، مع قول بعض الحكماء: شر الملوك من خافه البريء».

وذكر أبو البقاء شاهدًا على قولهِ أعلاهُ ، ما حدثَ في نوبة القيصريِّ التركي وإيلغازي بن أرتق أمير التركمان ، ومن انضم إليهما من العرب لَّما اجتمعوا في بغدادَ، وذلك سنة ٤٩٦هـ ، فقد حاولَ الخليفة العباسيُّ المستظهر تطبيق سياسته؛ بهدف توسيع شقة الخلاف بين السلاجقة من أجل فرض نفوذه ، وكانت بغداد تحت سيطرة شحنة السلطان محمد ، المسمَّى بـ: إيلغازيّ ، وكانت الخطبةُ ببغداد إلى السلطان محمد، بعد وفاة أبيه (ملكشاه) ، فأرسل بركياروق من همذان شحنة إلى بغداد اسمه : كمشتكين القيصريّ ليخطب باسمهِ ، وفعلًا تمكَّنَ القيصريُّ من السيطرة على بغداد، فأُعِيدَت الخطبة من قبل الخليفة إلى بركياروق ، ثم أرسل حاجبه إلى الأمير صدقة ؛ لكي يغير الخطبة في بلاده ، إلَّا أنَّ صدقةَ رفض ذلكَ وأعلنَ تمرُّدَهُ ، وسار بجيشه إلى بغداد ، وأرسل إلى الخليفة رسولًا يعلمه بما حدثَ من اضطراب في

النفوس بسببه، وأصرَّ صدقة على إخراج القيصريّ وإعادة الخطبة إلى السلطان محمد، وإلَّا فإنه سيدخل بغداد بقوة السيف ، وبعد مفاوضات مستمرة تمكَّنَ صدقةُ من أن يفرض رأيه بإخراج القيصري وإعادة الخطبة للسلطان محمد ، وهكذا وَقَفَ صَدَقَةُ هذا الموقف المعارض لسياسة الخليفة.

لقد كُتِبَت الهزيمةُ على محاولة القيصري التركي السيطرة على بغداد لصالح السلطان السلجوقي بركياروق ، وفشلت ظنُونهُ الكاذبة وأطماعه الخائبة ، لَمَّا أطلَّ عليهم عسكر ملك العرب صدقة، فلم يجدوا حيلة إلَّا الهرب ، ممَّا اضطرَّهُم إلى طلب خاتم الأمان ، الذي مَنَّ به عليهم وسؤاله الإحسان الذي أسداه إليهم ، فأمر الأجلَّ أمينَ الدولةِ ثقةَ الملك أبا طالب محمدَ بن عبد الله بن حبشيّ أَن يعطيَهم خاتمهُ فَفَعَلَ .

فكانت صفتهم في تلك الحال ، كما وَصَفهم أبو البقاء قائلا[٨١] : (البسيط)

والقيصريُّ ومَنْ أَغوَى بِدَعوَتِهِ
مِن كُلِّ مُحتَطِبٍ لِلذَّنبِ مُكتَسِبِ
إزَارُهُ ذَاتُ أَركانٍ مُلَملَمَةٍ
رَمَاهُ في مِثلِ مَوجِ اللُّجَّةِ اللَّجِبِ

تحدَّثَ أبو البقاء[٨٢] عن حال كربغا (كربوقا) التركيّ ، أمير الجزيرة والموصل والعواصم وأطراف الشام ، الذي جمع العساكر واحتشد ودخل بغداد ، فرأى علامات الفشل والخيبة ، وأنه قد ألقى بنفسه إلى التهلكة ، فكان همُّهُ النجاة بنفسه والرجوع إلى مكانه خائبًا يجرُّ أذيال الهزيمة ، ومن قبله ما حدثت يوسف بن أرتق (آبق) نفسه بما كذبته ، فَجَمَعَ التركمانَ ووصَلَ إلى أطراف مدينة السلام بغداد، ثم أنكفأ راجعًا وفرَّق من عسكره ما كانَ جامعًا .

بعد ذِكرِ ما جَرَى لكلٍّ من كربغا (كربوقا) ويوسف بن أرتق (آبق) ، وفشل محاولتهما للسيطرة على بغداد ، علَّقَ أبو البقاءِ مقارنًا بين النعمان بن المنذر ملك الحيرة

وبين صدقة ، قائلا[٨٣] : «فليتأمل متأمل ما بين هذين الملكين من التَّبايُن في علوِّ الشأن، وكثرة الجنود والأعوان، وطول اليد وعزِّ الجند، وقهر الأشداء وكبت الأعداء والحُسَّاد، ليعلم قَدر ما بين درجتيهما من التَّبايُنِ في سائر أحوالهما، والتفاوت في علوِّ منزلتهما، واحتجاج مَن احتجَّ لمن تقدَّم مِنَ الملوك ؛ ...».

وتساءل أبو البقاء : «وكيف لا يكون أَولَى بالتسمية بملك العرب من النعمان، وقد فاقه في خلال المُلك كلها، وجاز دونه مقاليد المجد سائرها ، وكيف يُقاسُ قَدر النعمان بقدرهِ ، وهو الكريمُ الأعراف ، المهذبُ الأخلاق ...»[٨٤].

وهكذا كانَ أبو البقاء يُقارنُ بين شخصية النعمان بن المنذر ملك الحيرة وبين شخصية ملك العرب صدقة ، ويعرجُ على ذِكْرِ مساوئ سياسة النعمان وسلوكه تجاه رعيَّتِهِ ومواليه من القادة وأفراد حاشيته وأتباعه ، قائلا[٨٥] : «وكيف يقاس ملك كان ينالهم من العرب من الضيم ما تقدم ذكر اليسير منه، بملك تلجأ قبائلُ العرب بأسرها مِن الآفاق إلى ظله ، وتنتجع كانتجاعها مواقع الغيث من غامرِ فضله . لا يأمن خائفهم إلَّا بفنائه، ولا يستغني فقيرهم إلَّا مِن عطائه، فساداتهم ورؤساؤهم ببابه وقوف، وأشرافهم حول صاحب جيشه عكوف،... وهل مَنْ كانت هذه بعض صفاته أَولَى بالتسمية بملك العرب ، أم مَن كانَ دَيدنهُ أنْ يشنَّ الإغارةَ على العرب ويغزوهم فيسبي حرمهم، ويقتل فرسانهم ، ويطرد أنعامهم ويبيع أسراهم، ويغزونه أيضًا ، ويغيرون عليه فيفعلون به مثل ذلك ؟ ..» .

(١٠)

دار سيف الدولة صدقة بن منصور في بغداد:

روى أبو البقاء الحليّ[٨٦] حديثًا عن بعضِ الأكابر ببغداد ، أَنَّهُ قال : إن الله تعالى منّ على الناس ببغداد ، أو على أهل بغداد بدار سيف الدولة ، ولولاها لهلك خلقٌ كثيرٌ ممَّن يقصدُهُ العُمداء والشُّحن ، وضربَ أمثالًا لذلكَ ، منها : أنَّ ثقة المُلك أبا

الغنائـم بن ناكيرا صاحب الأمير نجم الدين إيلغازي بن أرتق حين خرج صاحبه إلى الجبل ، خافَ فَلَجَأَ إليها، فكان مستجيرًا بها وهو يتولَّى النظارة في بغداد ، وينوب عن صاحبه ، وينفذ أمره.

ولَمَّا أوقَعَ السـلطان محمَّد بن ملكشـاه بإياز التركيّ ،ونَقمَ على جماعة من أُمراء الترك ببغداد ، وذلك سنة ٤٩٨هـ ، لجأَ إليها قومٌ من كبراء أمراء الترك، فعفا عمَّن لجأَ إليهَا واستجَارَ بها ؛ احترامًا لملك العرب صدقة بن منصور(٨٧) .

وأضـافَ أبـو البقـاء : أنَّ جماعـة من أهـل بغداد حدَّثـوهُ أنَّ المسـتجيرين بهذه الدار يخرجون فيجلسـون في شـارعها ، ويمرُّ طالبوهم بإزائهم مجتازين ، فيقاولونهم ويخاصمونهـم ؛ ثقةً منهم بِعِزِّ الملجأ الذي لجؤوا إليه ، ففي الوصول إليها نجاة الجاني وفكاك العاني.

وصفَ أبو البقاء دارَ الأمير صدقة ، قائلًا : (المتقارب)

حَمَتهَـا مَهَابَتُـهُ فـي القُلُـوبِ
فَصَـارَتْ بِـذَاكَ حَـرِيمَ الحَـرِيمِ
إِذَا مَـا أَتَـى بَابَهَـا خَائِـفٌ
[فقـد] حَـلَّ مِنـهُ مَحَـلَّ النُّجُـومِ(٨٨)

وعلَّقَ أَبو البقاء الحليّ بشـأنِ دار سـيف الدولة صدقة ببغداد ، بأنَّ هذه صفة دار له ، وهو بعيد منها ، أصبحت ملجأ ومأوًى لمن هو خائف مسـتجير بها من نقمة الخليفة العباسي وحاشـيته ، ومن نقمة السـلطان السـلجوقي وقادتـه وأعوانه ، ولا يسـع المجال هنا إلى تسـمية الأماثل والأكابر الذين لجؤوا إليه واستجاروا به في داره هذه ، ويتسـاءل أبو البقاء : فمن المسـتحق للتسمية بـملك العرب؟ مَن عجز أن يجير جانيًـا على رجل من الأعراب قـدر جنايته خدش ، أم تجير دار عـلى الملوك والأمراء وأصحاب الأطراف الجناة المنسوب إليهم الجنايات العظيمة من القدح في الدول وما

جرى مجرى ذلك؟ كان سيف الدولة يلقَى ذوي الإحن والأزمات من العرب ببابِ دولته في حلته ، وكأنهم تلاقوا في أيام الجاهلية بالحرم في الأشهر الحرم ، حين كانوا ينزعون أسنتهم ويضعون أسلحتهم، فيرى أحدهم قاتل أبيه وأخيه ولا يقدر أَنْ يملأ منه نَظَره إلى أن يبتعدوا عن داره ويبعدوا عن جنابه ، وكانت داره في مدينة السلام قد ضاقت عن سعتها ، وخرجت عن فسحتها بالمستجيرين بها ، اللاجئين إليها فهي معتصم الناس ببغداد ، لا يجد الخائف سواها معقلاً ومعاذًا ، ولا الجاني غيرها موئلاً وملاذًا[٨٩] .

(١١)

ومن مناقب صدقة ما روى أبو البقاء الحليّ[٩٠] أنَّ الحاج اجتمعوا بمدينة السلام (بغداد) في سنة ٤٩٥هـ ، ولم يتمكنوا من التوجه إلى مكة المكرمة ؛ لأسباب وظروف استُجِدَّتْ ، فأمر الخليفة العباسيُّ المستظهرُ بالله سيفَ الدولة صدقةَ بتسييرهم ، وبرز توقيع الخليفة الأسمى باليد العالية بأمره بذلك معتمدا عليه في أداء هذه المهمة ، بحراسة قافلة الحاج وتأمين طريقها ، مفوِّضًا إيَّاهُ الصلاحيات الكافية لإكمال هذا التكليف ، واختار صدقة لهذا الأمرِ الأميرَ المرهفَ أبا المقلد حميد بن المقلد الأسدي العمري، وأمره بحمايتهم في المناطق التي يمرون بها من هجماتِ الأعراب في الطريق، ونجح في مهمته حتى وصلوا بسلام إلى مكة المكرمة ، وعاد بهم حتى وصلوا في طريق عودتهم إلى الكوفة واستراحوا فيها ، ولم يتعرَّض أحد منهم إلى أذًى أو مشقَّة.

ذكرنا أنَّ الخليفةَ العبَّاسيَّ المستظهر بالله أرسل كتابًا إلى صدقةَ بن منصور سنة ٤٩٥هـ، لقَّبه فيه : ملك العرب ، ولعلَّ ذلكَ الكتاب تَزَامَنَ صدوره مع تكليف صدقة بمهمة حماية قوافل حجاج بيت الله الحرام سنة ٤٩٥هـ ، في ظل الظروف المُتوتِّرَةِ في بغداد ؛ بسبب الخلافات والصراع القائم بين أبناء البيت السلجوقي من جهة ، وبين قادة السلاجقة من السلاطين وأعوانهم ، وبين الخليفة العباسي في تلك السنة بالذات (٤٩٥هـ) من جهة أخرى.

(١٢)

روى أبو البقاء الحليّ[٩١] أنَّ ملك العرب سيف الدولة جهَّزَ سريَّةً بعدد قليل من جندهِ، غير مؤثرة في عساكره، سنة ٤٩٧هـ إلى عانة، وهي مشحنة بالتُّرك، مع ملك بن أرتق، (ويُسمَّى: بلك بن بهرام بن أرتق)، وكانت المدينة منيعة، ومن المعلوم أنَّ التُّركَ إذا كان منهم نفر في معقِل (حصن) لم يستطع مَنْ يُريد فتحه على الاقتراب منه، والفرات مع ذلك محيطٌ بها وحائل دونها، لكنَّ جندَ سيف الدولة خاضوا في نهر الفرات بخيلهم رغم شدَّة جريان ماء الفرات وارتفاعه، وتمَّ فتح المدينة عنوةً من دون تأخير، فلم تُقاوم ساعةً من نهار، وقُتل بعضُ مَن كان فيها وغرق آخرون، وبمناسبة هذا الانتصار كانت لأبي البقاء قصيدة في ذلك[٩٢].

وبعد فتح سيف الدولة صدقة مدينة عانة، وطرد الأتراك منها، فتح مدينة واسط في هذه السنة أيضًا (٤٩٧هـ)، ثم توجَّهَ من الحلة إلى واسط في عسكر كثير، وأمر بأنْ يُنادَى على مَن فيها من الأتراك: مَنْ أقامَ فقد بَرِئَتْ منه الذِّمَّةُ، فسار جماعة منهم إلى بركياروق، وجماعة إلى بغداد، وصار مع صدقة جماعة منهم، وعاد سيف الدولة إلى الحلة بعد هذا الانتصار[٩٣].

(١٣)

من مناقب سيف الدولة:

روى أبو البقاء[٩٤] أنَّ إسماعيل بن أرسلانجق التركي صاحب البصرة، الذي كان يُنسبُ إلى ديانة الخُرَّميَّة، أعلن التَّمرُّد والعصيان، بعدما أصابه الغرور والجهل، وقادهُ سوءُ التَّدبير إلى جحود أيادي ملك العرب صدقة، من إحسانِهِ إليهِ وإقرار ولاية البصرةِ عليهِ، باستحصال موافقة السلطان السلجوقي غياث الدنيا والدين محمد بن ملكشاه، وكان إسماعيل يتصوَّرُ أنه سيكون بمأمنٍ من قوة جيش سيف الدولة صدقة؛

لأنه تحصَّنَ بقلاعٍ اتَّخذها في البصرة وما حولها وشحنها بالجند ، وجعل حولها الخنادق التي تحمي السفن ، ظنًّا منه أنَّه قد حصَّنَ ثغورَهُ وأحكمَ أُمورَه ، ، فسار إليهِ سيف الدولة في عسكر من عساكرهِ، فوجد إسماعيل قد أعدَّ واستعدَّ ، وبنى سورَ البصرةِ ، وجمعَ أعوانَهُ ، واحتشدَ بالتُّركِ والدَّيلمِ وغيرهم ، واستَغوَى أهل البصرة ، وعزمَ على الحرب، وأعدَّ عُدَّتَهُ بالسُّفن البصرية والمراكب البحرية ، وتأهَّبَ لها .

لم يذكر أبو البقاء أسباب تمرُّد إسماعيل بن أرسلانجق ، التي كان أحد أسبابها كما ذكر د. ناجي[٩٥]: سوء العلاقة بين إسماعيل والسلطان محمد بن ملكشاه، وكان إسماعيل مُقيمًا في البصرة مُدَّة عشر سنين ، وصاحب النفوذ والسلطة فيها ، وممَّا زادَ في سيطرته عليها ، الخلافات بين السلاطين السلاجقة ، إلى درجة سيطرَ إسماعيل على الأموال السلطانية في البصرة ، وراسلَ إسماعيلُ الأميرَ صدقةَ وأبدى له الطاعةَ والموافقة ، ولَمَّا تولَّى السلطان محمد بن ملكشاه السلطنة ، أرسلَ مُقطعًا إلى البصرةِ ؛ ليتولَّى ما يتعلق بالسلطان فيها ، لكنَّ إسماعيل مَنَعَ ذلك المسؤول من القيام بعملهِ ، لذلكَ أقطعَ السلطانُ محمد البصرةَ إلى الأمير صدقة ، الذي أرسلَ حاجبًا ليتسلَّمها من إسماعيل، لكنَّ الأخيرَ قبضَ على الحاجب وسَجَنَهُ ، الأمر الذي دَفَعَ صدقة إلى مُحَارَبَتِهِ.

إنَّ هذه الأسباب مجتمعةً أدَّتْ إلى اتِّخاذ قرار الحرب بين السلطان محمد والأمير صدقة ضد إسماعيل بن أرسلانجق وطرده من البصرة ، وفعلًا قام صدقةُ وجيشُهُ بمحاصرة البصرة وشنّ هجومًا صاعقًا على إسماعيل وقوَّاته ، فَأُغلِقَتِ الطُّرقُ بِوَجهِ إسماعيل وقواته ، الذي أدركَ أنه لا قدرة له على الدفاع والمواجهة، فلم يجد حيلةً إلَّا أنْ أرسل حُرَمَهُ عائذات بحلم ملك العرب وكرمه ووفاء عهده وذمه ، لطلب العفو والأمان ، وفعلًا أعطاهُ سيف الدولةِ الأمان ، فسلَّمَ نفسَهُ إليهِ وألقاها بينَ يديهِ ، فصفح عنه سيف الدولة ، وتسلَّم البصرة منه ، وقد فرح العربُ بهذا الفتح

سـنة ٤٩٩ هـ ، وامتدح الشعراء سـيف الدولة صدقة بهذه المناسبة العظيمة ، وحصل إسـماعيل بن أرسلانجق على الأمان على نفسـه وأهله وأمواله، وأمهله سيف الدولة سـبعة أيام لمغادرة البصرة ، كما أمن سـيف الدولة على أهل البصرة من كلِّ أذًى[٩٦] ، وبعد انتهاء حرب إسماعيل بن أرسلانجق عاد سيف الدولة صدقة إلى الحلة .

وقال أبو البقاء[٩٧] : «وممَّا يشـابه هذا من مسـاعيه [سـيف الدولة صدقة] ما كان مِن فَتْحِ هيت بأيسر سـعيٍ وأهون تكلُّفٍ» ، وبذلك ذكر لنا أبو البقاء فتح هيت بصـورة مختـصرةٍ ، من دون ذِكْرٍ لأسـباب الفتح ولا ذكر للعمليات العسـكرية التي أدَّتْ إلى فتحها ، في حين أنَّ صدقةَ اسـتولى على هيت سـنة ٤٩٦ هـ ، وكانت تابعة إلى مسـلم بن قريش العقيليّ ، أقطعها إليهِ السُّـلطان ألب أرسـلان ، وبعد قتل السلطان أصبحت هيت تابعة إلى بعضِ قادتِهِ ، واسـتمرَّتْ كذلك حتى وفاة السلطان ملكشاه بن ألب أرسـلان (٤٨٥ هـ)، فأخذها أخوهُ تتش ، وعندما تولَّى السـلطان بركياروق أقطعهـا إلى ثـروان بن وهب بن وهيبة ، وهـو من بني عقيل ، وكانـت علاقة ثروان في بـادئ الأمر حسـنة مع الأمير صدقة ، لكنَّها سُرعانَ مـا تغيَّرتْ ؛ لانَّ صدقةَ زوَّجَ ابنتَـه من ابنِ عمِّهِ ، في حين أنَّ ثـروان خطبها من صدقة قبله ، لكنَّهُ رفض ، والظَّاهرُ أنَّ ثـروان وجماعته من بني عقيـل كانوا يقيمون مع صدقـة في الحلَّة ، لذلك كان من نتائـج زواج ابنـة صدقة من ابن عمه ، محاولة بني عقيـل التمرُّد على صدقة في الحلَّة ، ولكَّن صدقة تمكَّنَ مِنَ القضاء على هذا التمرد ، ومن المحتمل أنَّ العلاقةَ تحسَّنتْ بين الطرفـين مـرَّة ثانية ، وذهب ثروان إلى الحجِّ ، وبعد عودتـه كان مريضًا غير قادر على تحمُّل أعباء المسـؤولية في هيت ، فوكل صدقة وأعطاه هيت ، فأرسـل صدقة حاجبه ومعـه كتاب ينصُّ على تسـليم هيـت إلى صدقة ، لكنَّ متولِّي هيت رَفَضَ تسـليمَها ؛ لذلك جهَّزَ صدقة عسـكره ، وزحف إليها بنفسه ، وسيطرَ عليها عُنوةً ، ومن الجدير بالذكر أنَّ السـلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لم يتدخَّل ولم يُعارض فكرة استيلاء

صدقة على مدينة هيت[٩٨].

ذكر أبو البقاء[٩٩] فتح مدينة هيت التي فتحَتها بكلِّ سهولة سيف الدولة صدقة، ولم يكن بينه وبين افتتاحها إلَّا إطلالة عليها ؛ بفضل شجاعته وخبرته في الحروب .

ثمَّ ذكر أبو البقاء[١٠٠] قصيدةً لهُ في فَتحِ هيت وتكريت ، مطلعها : (البسيط)

ويَومَ هِيتٍ وقَد حَنَّتْ إلينَا فَلَمْ

تَسكُنْ إلى غَيرِهِ نَفسًا ولَمْ تَطِبِ

عرضَ لنا أبو البقاء هذه الجولة من الانتصارات العسكريَّة ، غير أنَّه لم يُراعِ التسلسل الزَّمني في عَرضِ معلوماته عن هذه الفتوحِ ، فقدَّمَ فتح البصرة سنة ٤٩٩ هـ على فتح هيت وتكريت سنة ٤٩٧ هـ ، وكان الأجدر أنْ يُقدِّمَ التسلسلَ الزَّمنيَّ الصَّحيحَ في عَرضِ الحوادث التاريخيَّة .

(١٤)

تحدَّثَ أبو البقاء[١٠١] عن فضلِ سيف الدولة الأمير صدقة بن منصور على ملوك العرب في سعة المُلك والثروة ، وأنه ظَاهِرٌ عليهم كظهور فضله فيما تقدَّمَ من الخلال ، وأنَّ العربَ سمَّتهم ملوك العراق ، على طريقتهم في التَّعظيمِ ، وعادتهم في التفخيم ، على الرغم من أنهم لم يكونوا مُلاكًا له ولا لكثير نصيب منه، وكانتِ الأكاسرةُ تقطعهم مواضعَ مِن العراق مُسمَّاة تجعلها طُعمةً لهم، ومعونة على عملهم، وكانوا يجبون خَرَاجَهَا ويصرفون عليهم ، ويطعمون من شاؤوا من أهلهم وأعوانهم ، ومَن كانوا يكسبونه ويقرِّبونه من العرب.

وتَسَاءَلَ أبو البقاء[١٠٢] مُقارنًا بين مُلوك الحيرة من المناذرة ومَن يتبعهم ، وبين سيف الدولة صدقة قائلًا : «فكيفَ يُقاسُ قوم كان لهم من العراق قرًى معدودةٌ عن الحماية والخفرة ، بمَن ملَّكَهُ اللهُ العراقَ بأسره ملكًا وأمره، فهو يقطع أجناده أمصاره

بمنابرها، ومدنه بسوادها، ورساتقه بأنهارها، ... وكيف يُقاسُ ملك مدحَهُ الأعشَى مُبالغًا بأنَّهُ يَعلفُ فَرَسَهُ قتًّا وشعيرًا، بسيف الدولة في سعة ملكه؟»، وهكذا يتَّضحُ لنا بجلاءٍ أنَّ سيف الدولة كان يتمتَّعُ بصفاتٍ حميدةٍ وخصالٍ فريدةٍ.

روى أبو البقاء[١٠٣] عن محدِّثه سهيل، أحد موالي سيف الدولة صدقة، أنه سمع سعيدَ بنَ حميد (العمري) صاحبَ جيشِهِ يقول: إِنَّهُ كانَ يَصرِفُ مِن أموال صدقة مبالغ كبيرة، دون أخذِ موافقتِهِ، بمعنى أنه منحهُ صلاحيات واسعة ومفتوحة في هذا المَجَالِ، وكانت تلك الأموالُ تُصرفُ على الوافدين والشعراء والندماء، وعلى الصِّلات العارضة والمطابخ، وتبلغ في كل سنة بحدود ستين ألف دينار.

ذكر أبو البقاء[١٠٤] من جملة مكارم سيف الدولة صدقة، أنَّ تاج الدَّولة تتش (ابن ألب أرسلان)، لَمَّا تمكَّنَ من بني عقيل في الموصل والجزيرة الفراتية في بعض سني بضع وثمانين (بعد سنة ٤٨٠هـ)، وقُتل إبراهيم بن قريش ومُقبل بن بدران وجماعة من أمراء آل المسيب العقيليين، أجلى تتش قبائل من عقيل وكلاب ونمير وغيرها من قبائل عامر بن صعصعة بالجزيرة والشامين وغيرهما، ولم يبق أحد منهم إِلَّا انتجع ندى (كرم) سيف الدولة، فنزلوا بلاده بأهلهم، وكان عددهم كبيرًا من أمراء آل المسيب، وغيرهم من الأمراء، فأنعم عليهم بِالصِّلاتِ والخِلَعِ والجوائز على أقدارهم ومراتبهم، كما أطلق سراح مَن وَقَعَ منهم في الأسر، وكساهم وحماهم، وردَّهم إلى أهلهم.

سبق أن ذكر أبو البقاء[١٠٥] حادثة مشابهة لها في سنة ٤٩٨هـ، بِإِيقَاعِ عساكر السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان بقبائل بني عامر في خارج آمد، وناقشنا عدم دِقَّة هذهِ الرواية؛ لأن السلطان ملكشاه توفي سنة ٤٨٥هـ، وهذه الحادثة وقعت سنة ٤٩٨هـ، أي في عهد السلطان محمد بن ملكشاه، كما زَعَمَتِ الرِّوايةُ، ولعل الحادثة واحدة تكررت مرة ثانية هنا، ولكن هذه الرواية هي الأقرب للصواب،

لعدة أسباب ، أولها : إنها وقعت في سني بضع وثمانين ، وأن مَن أوقع ببني عقيل ، وهم من بني عامر ، السلطان تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، وأخو السلطان ملكشاه ، ونرجح هذه الرواية وصحتها ، فقد ذكر ابن الجوزيّ[١٠٦] أن تاج الدولة تتش خطب لنفسه بالسلطنة سنة ٤٨٦هـ ، ومَلَكَ ديار بكر والموصل ، وأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله ، يلتمس منه إقامة الخطبة له ببغداد ، ولا نستبعد أن سيطرة تتش على ديار بكر والموصل ، أدت إلى اصطدامه مع قبائل بني عقيل والقبائل العربية المتحالفة معها في تلك المناطق ، ووقعت الحرب بينهما ، التي أدت إلى مقتل أعداد من أمراء بني عقيل المسيبين وأمراء آخرين من القبائل العربية المتحالفة معهم ، ونرجح أن هذه المعركة وقعت سنة ٤٨٦هـ ، في الأعم الأغلب ، في حياة منصور بن دبيس والد سيف الدولة صدقة ، الذي تُوُفِّيَ سنة ٤٨٧هـ ، أو التي بعدها ، وليس في سنة ٤٩٨هـ !

(١٥)

نختتمُ بحثنا بما ذكر أبو البقاء[١٠٧] تحت عنوانَ : (أخبار متفرقة عن ملوك الحيرة وملوك الحلة ورؤساء القبائل) ، الذي استَهَلَّهُ بِأَنَّ هذا طَرفٌ مِن ذِكْرِ أحوالهم في أديانهم وأنسابهم ومبلغ عزِّهم وحدّ مُلكهم وسعة ثروتهم. وما رُوِيَ من الأحاديث عنهم نادرها وعجيبها مقرونًا بِبُعدِ العَهدِ وعِظَمِ اسمِ الملك في الأنفس ، فهال السامع وبَهَرَهُ ، وظنَّ أنَّ المعنَى بِقَدرِ الاسم. ويستدلُّ على صحَّةِ ما ذُكِرَ بعدَ تَصَفُّحِ أحاديثهم وتأمُّلِ أخبارهم .

ولعلَّ ما ذكرَهُ أبو البقاء في هذا المجال إنما كان تعبيرًا عن طبيعةِ الحياة العربية قبل الإسلام ، وكُلّ ما كانَ سَائِدًا من تحالفات قَبليَّة وصراعات دمويَّة ، يُغذِّيها الملوك ورؤساء القبائل، وهي التي عُرِفَتْ بـ : أيام العرب ، التي كانت الصحراءُ مسرحًا مناسبًا لها ، وكتبت تلك الأيام وما رافقها من مفاخرات وأشعار، حتى

أَصبحَتْ تُشكِّلُ مادة لدراسة طبيعة الحياة العربية القبلية قبل الإسلام .

ووفق منهجه ، حرص أبو البقاء[١٠٨] على استعراض مواقف العديد مِن الملوك ورؤساء القبائل العرب تجاه تلك الصراعات والأحداث التي تمخضت عنها ، وقَارَنَ بينَ مواقف وسياسة هؤلاء الملوك والقوى القبلية من تلك الصراعات والأحداث، وبين موقف سيف الدولة صدقة منها ، وتساءل قائلًا : « وكيف يقاس ملوك هذه صفاتهم بملك يغترف من بحر جوده فقير العرب والغني، ويعمُّ فضلُهُ قريبهم والقصي ، كما يعمُّ الأرض من صوب المزن، ويجود سهلها والحَزَن».

الاستنتاجات (نتائج البحث)

يمكن إيجاز أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها في بحثنا ، في النقاط الآتية :

١ -إنَّ مؤلِّفَ كتاب (المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية) هو : محمد بن نما بن علي بن حمدون الأسديّ ، كما ورد في كتاب (أعيان الشيعة) للعاملي ، في ترجمته لأحمد بن محمد بن جعفر بن هبة الله أبي البقاء محمد بن نما الحلي ، وفي ترجمة الشيخ نجيب الدين محمد بن جعفر بن محمد نما الحلي ، وأيد هذا الرأي محققا كتاب (المناقب المزيدية) في مقدمة دراستهما للكتاب .

٢- يلاحظ أن أبا البقاء لم يذكر تعمير سيف الدولة للحلة سنة ٤٩٣هـ ، وانتقاله مع أفراد حاشيته إليها سنة ٤٩٥هـ ، كما لم يتطرَّق إلى استشهاد الأمير صدقة في حَربه مع السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه سنة ٥٠١هـ !

٣-اختلف المؤلفون والرواة حول سنة وفاة أبي البقاء ، واعتمدوا إجازته لبعض تلاميذه في داره بالجامعَين في الحلة ، تاريخًا لوفاتهِ ، في السنوات : ٥٦٥هـ ، ٥٧٣هـ، ٥٧٥هـ ، فضلًا عن رواية متأخرة هي إلى ما بعدَ سنة ٥٨٠هـ ، لكن هذه الرواية غير مؤكَّدة ، لذلك أكَّدنا أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي .

٤-كانَ أبو البقاء شاعرًا وأديبًا مُتمكِّنًا ؛ بدليل أشعاره المبثوثة في ثنايا كتابهِ ، التي مَدَحَ بها ملك العرب سيف الدولة صدقة ، وظَّفَ شعرَهُ ونثره في مدحِ الأمير مَدحًا مُبالغًا فيهِ كثيرًا ، وخارجًا عن المألوفِ ، وقد ثبَّتنا بعضَ شعره بالرجوع إليهِ مُحقَّقًا، فضلًا عن أُسلوبه البلاغي المتين.

٥-يُفضَّل إعادة نشر كتاب (المناقب المزيدية) وتحقيقه تحقيقًا علميًّا متقنًا ، وحبَّذا لو تَوافَرَتْ نُسخةٌ جديدةٌ من مخطوطة الكتابِ تحقيقًا للفائدة العلميَّة المرجوَّة .

الهوامش

(١)أمل الآمل: ٢/ ٣٤٣-٣٤٤.

(٢)رياض العلماء وحياض الفضلاء : ٥/ ٣١٦ .

(٣)المصدر نفسه : ٦/ ٣٧ .

(٤)طبقات أعلام الشيعة (الثقات العيون في مشاهير سادس القرون) :٣/ ٣٣٤ .

(٥)موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤ .

(٦)المناقب المزيدية : ١/ ٣٥٢ ، ٣٧١ ، شعر هبة الله بن نما الحلي :٧٢ .

(٧)المنتظم : ١٠/ ١٣٦ .

(٨)كتاب سليم بن قيس : ١٢٣ ، رياض العلماء : ٥/ ٣١٦ ، أعيان الشيعة : ٩/ ٨٩-٩٠ ، طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٧٣-٧٤ ، ٣٣٤-٣٣٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٨٤، ٣٤٤ ، أعلام الشيعة : ١/ ٥٥٢ ، ٣/ ١٥٥٤ ، مقدمة كتاب سليم بن قيس : ٦٤ .

(٩)المناقب المزيدية : ٢/ ٥٠٤ .

(١٠)المصدر نفسه : ١/ ٥١، ينظر : تاريخ الإسلام : ج ٢٣/ ٦٣٠-٦٣١ ، شعر هبة الله بن نما : ٧٢ .

(١١)طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤ ، موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤ ، أعلام الشيعة : ٣/ ١٥٥٤ .

(١٢)طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤ أعلام الشيعة : ٣/ ١٥٥٤ .

(١٣)المناقب المزيدية : ٥٠٣ .

(١٤)الأعلام : ٧/ ١٣٠ ، مقدمة المناقب المزيدية: ٢٦ ، شعر هبة الله بن نما : ٧٢ ، ٩٧ .

(١٥) رياض العلماء : ٥/ ٣١٦ ، أعلام الشيعة : ٣/ ١٥٥٤ .

(١٦) طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤ .

(١٧)موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤ .

(١٨)أمل الآمل : ٢٠/ ٣٤٤ ، رياض العلماء: ٥/ ٣١٦ ، طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤ ، تاريخ الحلة : ٢/ ١٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء: ٦/ ٣٤٤ .

(١٩)فقهاء الفيحاء : ١/ ١٩١-٢٠٥ ، تاريخ الحلة : ٢/ ٢٠-٢٢ ، الأعلام : ٢/ ١٢٣ ، شعر هبة الله بن نما : ٧٣.

(٢٠) الجامع للشرائع : ٧ ، أعيان الشيعة : ٩/ ٢٠٣ ، تاريخ الحلة : ٢/ ١٥-١٦ .

(٢١)الجامع للشرائع: ٧ ، رياض العلماء : ٦/ ٣٧ ، روضات الجنات : ٢/ ١٧٩ ، تاريخ الحلة : ٢/ ١٦-١٧ ، شعر نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحليّ : ١٥٢ .

(٢٢)من أسرة آل نما . يُنظر : الجامع للشرائع: ٧ ، رياض العلماء : ٦/ ٣٧ ، روضات الجنات: ٢/ ١٨٠، أعيان الشيعة : ٤/ ٤٢٨ ، فقهاء الفيحاء ١٨٠-١٨٤ ، تاريخ الحلة : ٢/ ١٥-١٩، شعر نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحليّ : ١٥١-١٥٥ ، مقدمة المناقب المزيدية : ١٠-١٣، ٢٦-٢٧.

(٢٣)كتاب سليم بن قيس الهلالي : ١٢٣-١٢٤، روضات الجنات : ٢/ ١٧٩-١٨٠ ، طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤-٣٣٥ ، تاريخ الحلة : ٢/ ١٥، موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٨٤-٨٥، شعر هبة الله بن نما : ٧١ .

(٢٤)رياض العلماء : ٦/ ٣٧-٣٨ ، شعر هبة الله

بن نما : ٩٧ .

(٢٥)روضات الجنات : ٢/ ١٨٠ ، تاريخ الحلة: ٢/ ١٥ .

(٢٦)أعيان الشيعة : ٤/ ٤٢٨ (في ترجمة أحمد بن محمد بن جعفر بن هبة الله أبي البقاء محمد نما الحليّ) ٩/ ٢٠٣ (في ترجمة : نجيب الدين محمد بن جعفر بن محمد نما الحلي).

(٢٧) ذكر السيد العامليُّ أسماءَ العديد من هذه الأسرة العلمية . أعيان الشيعة : ٤/ ٤٢٨ .

(٢٨)مقدمة كتاب المناقب المزيدية : ١٢-١٣.

(٢٩)طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٥ .

(٣٠)شعر نجم الدين جعفر بن محمد بن نما الحلي: ١٧٦.

(٣١)الجامع للشرائع : ٧ .

(٣٢)كتاب سليم بن قيس الهلالي : ١٢٣ ، رياض العلماء : ٦/ ٣١٦-٣١٧ ، روضات الجنات : ٢/ ١٨٠ ، طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤-٣٣٥ ، موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤ أعلام الشيعة : ٣/ ١٥٥٤ ، مقدمة كتاب سليم بن قيس الهلالي : ٦٤.

(٣٣)طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤-٣٣٥ ، وقارن مع كتاب : سليم بن قيس الهلالي : ١٢٣.

(٣٤)أعلام الشيعة : ٣/ ١٥٥٤ ، ويُنظر أيضًا : أحوال وسط شبه الجزيرة العربية ... : ٢٩٢ ، ورجَّحَ كاتبا البحث وفاة أبي البقاء الحليّ بعد سنة ٥٦٥هـ/ ١١٧٠م.

(٣٥)طبقات أعلام الشيعة : ٣/ ٣٣٤.

(٣٦)موسوعة طبقات الفقهاء : ٦/ ٣٤٤.

(٣٧)لسان الميزان : ٨/ ٣٢٨ ، ويُنظر أيضًا : شعر هبة الله بن نما الحليّ : ٣٧ ، ٩٨ .

(٣٨)مقدمة كتاب المناقب المزيدية : ١٣ .

(٣٩)المرجع نفسه : ٥-٧.

(٤٠)الإمارة المزيدية : ٣١-٣٢ .

(٤١) أحوال وسط شبه الجزيرة العربية : ٢٩٠ .

(٤٢) الإمارة المزيدية : ١٣-١٤ .

(٤٣) مقدمة كتاب المناقب المزيدية : ٨-٩ .

(٤٤) المرجع نفسه : ١٤-١٥.

(٤٥) المنتظم : ١٠/ ٩٨ ، الكامل : ٨/ ٥١٤ ، تاريخ الإسلام :٢١/ ٧-٨ ، النجوم الزاهرة : ٥/ ١٩ ، تاريخ الحلة : ١/ ١٩ ، الإمارة المزيدية : ١٥٩ ، الأعلام : ٣/ ٢٠٣ .

(٤٦)المنتظم : ١٠/ ٦٣ ، ١٨٧.

(٤٧) المناقب المزيدية : ٥١-٥٢ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٥٦-٥٧.

(٤٨)السِّيبُ : كورةٌ من سواد الكوفة، وهما سيبان الأعلى والأسفل ، من طسُّوج (نواحي) . معجم البلدان : ٣/ ٢٩٣ .

(٤٩)المناقب المزيدية : ٥٢-٥٣، المناقب (ط. مركز زايد) : ٥٧-٥٨.

(٥٠)محلة ببغداد في الجانب الغربي فوق مدينة المنصور ، كانت ترسو فيها سفن الموصل والبصرة . معجم البلدان : ١/ ٣٠٨.

(٥١)المنتظم : ١٠/ ١١ ، الكامل : ٨/ ٣٧٧-٣٧٨ ، تاريخ العراق : ١٣٨ ، الأمارة المزيدية : ١٣٩.

(٥٢)المنتظم : ١٠/ ٤٤.

(٥٣)المنتظم : ١٠/ ٤٣-٤٤ ، ٥٤-٥٦، الكامل: ٨/ ٤٢٣ ، الإمارة المزيدية : ١٣٩.

(٥٤)المنتظم : ١٠/ ٥٥ ، ويُنظر : الكامل : ٨/ ٤٢٣-٤٢٤ ، تاريخ الحلة : ١/ ٢٠ ، الإمارة

المزيدية : ١٤٢-١٤٣.

(٥٥)المناقب المزيدية : ١٦٠-١٦٢ ، المناقب (ط. مركز زايد) : ١٦٣-١٦٤.

(٥٦)المصدر نفسه : ٨٦ ، وكان العنوان : «ملوك آل نصر في الحيرة ، وأول من ملكَ منهم : مالك بن فهم» ، واستمرَّ في ذكر اسمائهم وسيرهم : ٨٨-١٦٠ ، المناقب (ط. مركز زايد) : ٩٠-١٦٢ .

(٥٧) المناقب المزيدية : ١٦٢، المناقب (ط. مركز زايد) : ١٦٤ .

(٥٨)المصدر نفسه: ٢٣٥-٢٣٨، المناقب (ط. مركز زايد) : ٢٣٩-٢٤٠ .

(٥٩) المصدر نفسه : ٢٦٢-٢٧٠، المناقب (ط. مركز زايد) : ٢٧٠-٢٧٣ .

(٦٠) المصدر نفسه : ٢٧٠-٢٨٨، المناقب (ط. مركز زايد) : ٢٧٣-٢٩٠.

(٦١) المصدر نفسه : ٢٨٨، المناقب (ط. مركز زايد) : ٢٩١.

(٦٢) المصدر نفسه: ٣٣٣-٣٦٣ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٣٦-٣٦٢.

(٦٣) المصدر نفسه : ٣٣٣-٣٤٣ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٣٦-٣٤٦.

(٦٤) المصدر نفسه : ٣٤٣-٣٤٦ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٤٦-٣٤٩.

(٦٥) المصدر نفسه : ٣٤٦-٣٤٨ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٤٩-٣٥١.

(٦٦) المصدر نفسه : ٣٤٨-٣٥٢ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٥١-٣٥٥.

(٦٧) المصدر نفسه : ٣٥٢-٣٥٧ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٥٦-٣٦٠.

(٦٨) المصدر نفسه : ٣٥٧-٣٥٨ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٦٠-٣٦١.

(٦٩) المصدر نفسه : ٣٥٨-٣٥٩ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٦٢.

(٧٠) المصدر نفسه : ٣٦٢ ، ينظر : المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٣٦٥-٣٦٦.

(٧١)المصدر نفسه : ج ٢/ ٤٢٥-٤٢٩ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٢٨-٤٢٩.

(٧٢)المصدر نفسه: ٤٢٦-٤٢٧ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٢٩-٤٣٠.

(٧٣)المصدر نفسه : ٤٢٧-٤٢٨ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٣٠-٤٣١ ، وينظر : الفقرة رقم (١) من المبحث الثاني هذا .

(٧٤)المصدر نفسه: ٤٢٨-٤٢٩ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٣١-٤٣٣.

(٧٥)المصدر نفسه : ٤٣٠ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٣٣ ، وينظر أيضًا : المنتظم: ١٠/ ٧٧-٧٨ ، الكامل : ٨/ ٤٧٠-٤٧١ ، تاريخ العراق : ٨٢-٨٣ ، الإمارة المزيدية : ١٤٥-١٤٦.

(٧٦)المناقب المزيدية : ٤٥٠-٤٣١ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٣٣-٤٣٤.

(٧٧)المصدر نفسه : ٤٥١-٤٥٣ ، المناقب المزيدية (ط. مركز زايد) : ٤٥٦-٤٥٧.

(٧٨)المنتظم : ٩/ ٦٣٤،٦٤٣-٦٥٤ ، الكامل : ٨/ ٣٥٢-٣٥٣ ، تاريخ العراق : ١٣٨ .

(٧٩) شعر هبة الله بن نما : ٨٢.

(٨٠) المناقب المزيدية : ٤٦٥-٤٧٠ ، المناقب (ط . مركز زايد) : ٤٧٠-٤٧٥ .

(٨١)المصدر نفسه : ٤٧٠-٤٧١ ، المناقب

(ط. مركـز زايد) : ٤٧٧ ، ويُنظر أيضًا : المنتظم: ١٠/ ٦٨ ، الإمارة المزيدية : ١٥٨-١٥٩ ، شـعر هبة الله بن نما : ٨٣.

(٨٢)المصدر نفسـه : ٤٧١-٤٧٢ ، شعر هبة الله بن نما الحلي : ٨٣ .

(٨٣)المناقـب المزيديـة : ٤٧٢-٤٧٣ ، المناقـب (ط. مركز زايد) : ٤٧٧-٤٧٨.

(٨٤)المصـدر نفسـه ٤٧٤-٤٧٥ ، المناقب (ط . مركز زايد) : ٤٨٠-٤٨١.

(٨٥)المصدر نفسـه: ٤٧٥-٤٧٦ ، المناقب (ط . مركز زايد) : ٤٨١-٤٨٢ .

(٨٦)المصدر نفسه : ٨٠٦٩-٤٨١ ، المناقب (ط. مركز زايد) : ٤٨٦-٤٨٧ .

(٨٧)تُنظر الفقرة رقم (٧) من مبحثنا هذا . وهذه الدار منحها الخليفة المستظهر إلى صدقة، وهي دار عفيف الواقعة في درب فيروز في بغداد . المنتظم : ١٠/ ١٨٧ ، الإمارة المزيدية: ١٥١، ١٦١.

(٨٨)شعر هبة الله بن نما : ٩٢ . ومابين العضادتين منه، وكذلك الضبط في البحث كله.

(٨٩)المناقـب المزيديـة : ٤٧٩-٤٨١ ، المناقـب (ط. مركز زايد) : ٤٨٥-٤٨٨ .

(٩٠)المصدر نفسـه : ٤٨٥ ، المناقـب (ط. مركز زايد) : ٤٩١ .

(٩١)المصـدر نفسـه: ٤٩٠-٤٩٢ ، المناقب (ط. مركز زايد) : ٤٩٧-٤٩٨ ، الكامل : ٨/ ٤٦٢ .

(٩٢)شعر هبة الله بن نما الحليّ : ٨٨ ، (والقصيدة كاملةً في (١٥) بيتًا).

(٩٣)الكامـل : ٨/ ٤٦٨، تاريخ الحلة : ١/ ٢٤، وللتفصيل يُنظر : الإمارة المزيدية : ١٥٠-١٥١.

(٩٤)المناقب المزيدية : ٤٩٥-٤٩٦، المناقب (ط. مركز زايد) : ٥٠٢-٥٠٣ .

(٩٥)الإمارة المزيدية : ١٥٢-١٥٣ .

(٩٦)الكامل : ٨/ ٤٨٤-٤٨٦ ، ٤٩٠، تاريخ الحلة : ١/ ٢٤-٢٥ ، الإمارة المزيدية : ١٥٢-١٥٣ .

(٩٧)المناقـب المزيدية : ٤٩٨، المناقب (ط. مركز زايد) : ٥٠٥.

(٩٨)الكامـل : ٨/ ٤٥٥-٤٥٦ ، تاريـخ الحلة : ١/ ٢٤ ـ الإمارة المزيدية : ١٤٨-١٤٩ .

(٩٩)المناقـب المزيدية : ٤٩٨-٤٩٩، المناقب (ط. مركز زايد) : ٥٠٥ ، شعر هبة الله بن نما الحلي : ٨٧.

(١٠٠)شـعر هبة الله بن نما الحلي : ٨٤ (في عشرة أبيات).

(١٠١)المناقـب المزيديـة : ٥٠٠، المناقـب (ط. مركز زايد) : ٥٠٧ .

(١٠٢)المصدر نفسـه : ٥٠٣ ، الإمـارة المزيدية : ٣٥٦ .

(١٠٣)المصدر نفسه : ٥٠٣ ، ينظر أيضًا : الإمارة المزيدية : ١٥٩، ٣٥٦ .

(١٠٤)المصـدر نفسـه : ٥٠٣-٥٠٤ ، الإمـارة المزيدية : ١٥٩ .

(١٠٥)المصدر نفسه : ٤٥١-٤٥٢ ، المناقب (ط. مركز زايـد) : ٤٥٦-٤٥٧، وينظـر : الفقرة رقم (٨) من هذا المبحث للمقارنة .

(١٠٦)المنتظم :٩/ ٦٥٨

(١٠٧)المصدر نفسه : ٥١٤-٥٢٥ ، المناقب (ط. مركز زايد) : ٥٢٢-٥٣٢.

(١٠٨)المصدر نفسه : ٥٢٤-٥٢٥ ، المناقب (ط. مركـز زايـد) : ٥٣٣-٥٣٤ ، الإمـارة المزيديـة : ٣٥٦.

المصادرُ والمراجعُ

- الأعلام : الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد (ت ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، بيروت ، ٢٠٠٧م.
- أعلام الشيعة: المهاجر ، د. جعفر ، دار المؤرخ العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين تحقيق وإخراج: حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- الإمارة المزيدية الأسدية في الحلة / دراسة في أحوالها السياسية والحضارية : د. عبد الجبار ناجي، قُم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- أمل الآمل : الحر العاملي ، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق السيد أحمد الحسني، دار إحياء التراث العربيّ ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- تاريخ الحلة : كركوش ، الشيخ يوسف (ت ١٤١٠هـ)، المكتبة الحيدرية ومطبعتها ، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، تونس ، ٢٠١١م.
- تاريخ العراق في العصر السلجوقي : د. حسين أمين عبد المجيد (ت ١٤٣٤هـ)، المكتبة الأهليَّة ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٥م .
- الجامع للشرائع: الهذلي ، يحيى بن سعيد (ت ٦٩٠هـ) ، إشراف الشيخ جعفر السبحاني ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٤هـ.
- جمهرة أنساب العرب: ابن حزم الأندلسي ، علي بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، ١٩٨٢م.
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: الخوانساريّ ، الميرزا محمد باقر الموسوي الأصبهاني (ت ١٣١٣هـ)، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- رياض العلماء وحياض الفضلاء: الأصبهاني ، عبد الله بن أحمد أفندي (ت ١١٣٠هـ) ، تحقيق أحمد الحسيني ، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ، قُم ، ١٤٠٣هـ .
- طبقات أعلام الشيعة (الثقات العيون في مشاهير سادس القرون) : أقا بزرك الطهراني ، الشيخ محمد محسن (ت ١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م .
- الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، أبو الحسن عليّ بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- كتاب سُليم بن قيس الهلالي ، تحقيق : محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني ، مطبعة نگارش ، ط ٤ ، قم ، ١٤٣٠هـ.
- لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن عليّ بن محمد (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدَّة ، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- معجم البلدان: الحموي ، أبو عبد الله ، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ) ، دار صادر ، ط ٨ ، بيروت ، ٢٠١٠م.
- المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية : أبو البقاء ، هبة الله محمد بن عليّ بن نما الحليّ (النصف

الثاني من القرن ٦هـ/ ١٢م)، تحقيق د. صالح موسى درادكة و د. محمد عبد القادر خريسات، مؤسسة الرسالة، عمّان، ١٩٨٤م.

أُعيدَ نشره، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين - الإمارات - ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- موسوعة طبقات الفقهاء: السبحاني، العلامة الفقيه جعفر، دار الأضواء، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكيّ (ت ٨٧٤هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، د. ت.

- **الدوريات:**

- أحوال وسط شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام في ضوء روايات كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسديَّة لأبي البقاء الحلي: أ. م. د. يوسف كاظم جغيِّل الشمري، و: أ. م. د. أسامة كاظم عمران الطائيّ، (مجلة تراث الحلة)، السنة (١)، المجلد (١)، العدد (٢)، دار الكفيل، كربلاء، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

- شعر نجم الدين جعفر بن علي بن محمد بن نما الحلي: أ. م. د. عباس هاني الجراخ، (مجلة تراث الحلة)، السنة (١)، المجلد (١)، العدد (١)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

- شعر هبة الله بن نما بن عليّ الحلي (جمع ودراسة وتحقيق): أ. م. د. عباس هاني الجراخ، (مجلة تراث الحلة)، السنة (٢)، المجلد (٢)، العدد (٣)، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.